سلسلة كتب إسلامية غير دورية ، تخاطب غير المسلمين ؛ والمسلمين الجدد ، والدعاة المهتمين بدعوة الفريقين .

وتهدف إلى :

١- تجلية حقائـق الإسـلام الغائبة أو المشوهـة فى نظر غير المسلمين ، ودفع شبهات وأباطيل خصومه .

٢- تثبيت الإيمـان فى قلـوب حديثى العهد بالإسلام ، وترشيدهم .

٣- تحطيم الحواجز النفسية والفكرية التى تكبل العقول الحرة ، وتحول بينها وبين الإسلام ، والتى صنعها :

أ- أعـداء الإسـلام المتعصبون من خلال إعلامهم وكتاباتهم .

ب- أتبـاع الإسـلام الجاهلـون الذين حجبـوا نـور الإسلام بسوء سلوكهم أو بانحراف أفكارهم ، فصدُّوا عن سبيل الله عز وجل .

٤- توضيح منهج الفرقة الناجية «أهل السنة والجماعة» ، لإنقاذ الداخلين فى الإسلام من براثن البدع والشقاق .

دار الحرمين للطباعة - القاهرة . ت : ٨٢٠٣٩٢ فاكس : ٢٤٧٠٧٣٥

الله ابتعثنا

لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه .

« ربعي بن عامر » رضي الله عنه

المحتوى

الموضوع	الصفحة
بسم الله : الحياة بغير الله سراب ..	٢
موعظة جبريل عليه السلام	٣
شاهد من أهلها : شكراً للإسلام!..	٤
حُسن الخلق مفتاح القلوب	٦
موضوع العدد:نظرة فى تاريخ العقيدة	٩
أدلة صدق النبوة :	
الفارقليط هو أحمد ﷺ	٢٢
بداية الهداية : قصة إسلام عبد الله الترجمان الميورقى	٣٥
لماذا هرب نابليون ؟.....	٤٣
أخلاق النصر عند المسلمين	٤٤
حديث الذكريات	
ورجع يجر أذيال الخيبة !.....	٤٧
لم يبصره،ولم يكلمه،ولكن هداه !....	٤٨

البشري

أذاعت وكالة (C.N.N.) الأمريكية من «سان فرانسيسكو» الخبر التالي :

(على مدى ست سنوات كاملة من البحث والتمحيص قام فريق يتكون من مائتي باحث بفحص حقيقة نسبة الأقوال المنسوبة إلى المسيح في الإنجيل ، وقد أعلن مؤتمر المسيح (Jesus Seminar) أخيراً النتيجة التى توصل إليها الفريق وهى :

« أنه من بين ألف وخمسمائة مقولة منسوبة إلى المسيح في الإنجيل ، لا يصح أن ينسب إليه سوى إحدى وثلاثين مقولة » وقد استعان الباحثون بكتب المكتبات المصرية القديمة،وكتب =

يتبع ص (٢)

كتاب بريد الإسلام

سلسلة كتب غير دورية تهدف إلى تبليغ رسالة الإسلام ، وتخاطب: غير المسلمين والمسلمين الجدد ، والمعنيين بدعوة الفريقين .

توزعها : دار الإيمان - ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل الإسكندرية - ج . م . ع . - ت : ٥٤٥٧٧٦٩ .

بسم الله

بريد الإسلام

تَزَوَّدْ فإنَّ التقى خير زادِ

د . عمر سليمان الأشقر

يأخي إن للعمر أيامَه ، وللحياة نهايتها ، ولا ندري متي تنقضي أيام العمر ، ومتي تبلغ الحياة غايتها ، ولكنني أدري أن ذلك لن يطول ، فكيف بك وقد بلغت من الحياة النهاية ، وانتقلتَ منها إلي حياتك الأخري ، أتراك ستنتقل من هذه الحياة إلي حياة أفضل منها ؟ أم إلي حياة شقية تعيسة؟

يا أخي ! إن الموت حقيقة لا يُكابر فيها مكابر ، ولا يجادل فيها ذوعقل ، لأن الموت مشاهَد مكرور ، ولكن الناس غافلون أو متغافلون عنها ، ومع ذلك فكل حي سبيله الموت والرحيل عن هذه الحياة ، تاركاً ما خَوَّله اللهُ خلفَ ظهره من أهل ومال ونعيم ، وأهله هم الذين سيوارونه التراب بعد أن خمدت فيه الحياة.

يا أخي ! لوكان الخلد أُعْطِيَ لبشر من بني آدم في هذه الحياة لأُعطِيَ لسيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ ، ولكن قضاء الله نافذ لايرَدُّ حتي في رسوله الكريم ﴿ إنَّك مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتون﴾ .

يا أخي ! نحن قوم مسافرون ، والطريق طويل ، والعقبات كُثْر ، فتزود لآخرتك من دنياك ، ولا يلهينك عن غايتك فُتَاتُ الطريق ، وبريق الشهوات ، وبهرج المال ، وحلاوة العيش، فإن ذلك لن يـــدوم ﴿ قل متاعُ الدُّنْيَا قليل ﴾ .

يا أخي ! تزود بتقوي الله فإنه زاد سيغلو ثمنه ، وترتفع سوقه ، ويربح طالبه ، تزود بطاعة الله ففي هذا النجاء، تزود بالإخـــلاص لله ففي هذا الغنـــاء ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يآأولى الألباب﴾.

يا أخي ! لا ألفينك وقد انقضت حياتك ، وحان حَيْنُك ، وولّت عنك الدنيا مدبرة، ونظرتَ إلي ماضي أيامك فإذا بك تشاهد ماضيًا أليمًا ، وأياماً سوداء قاتمة، قضيتها في عصيان رب العالمين ، وقد خدعك من الحياة مظهرها وزخرفها عن حقيقة الحياة وغايتها ، فعند ذلك تقول باكياً حين تبلغ الروح الحلقوم ، والناس إليك ينظرون : « رَبِّ أمهلون ، وإلي الدنيا ارجعون ، لعلي أعمل صالحًا فيما تركت » ، فيقال لك : « كلا ، فقد انتهت الحياة ، ومضت فترة الاختبار » .

جوامع الكلم

بريد الإسلام

إعداد : أبي الفرج بن أحمد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ ، سَخَّابٍ في الأسواقِ ، جِيفةٍ بالليلِ ، حِمارٍ بالنهارِ ، عالمٍ بأمرِالدُّنيا ، جاهلٍ بأمرِ الآخرةِ » ، رواه ابن حبان في « صحيحه » .

الجعظرى : الفظ الغليظ المتكبر ، وقيل : هو الذي ينتفخ بما ليس عنده .

الجواظ : الجَمُوع المَنوع ، وقيل : الكثير اللحم ، المُختال في مِشيته .

السخاب : السَّخَب والصَّخَب بمعنى الصياح ، فالسخاب هو كثير الضجيج والخصام ، قال ابن الأثير رحمه الله : (وفي حديث المنافقين : « خُشُب بالليل ، سُخُب بالنهار » ، أي إذا جنَّ عليهم الليل سقطوا نيامًا كأنهم خُشُب ، فإذا أصبحوا تساخبوا علي الدنيا شحًا وحرصًا) اهـ .

جيفة : أي كالجيفة ، لأنه يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه ، وينام طوال الليل كالجيفة التي لاتتحرك.

* * *

ألا ما أشد انطباق هذا الحديث علي هؤلاء الكفار الذين لا يهتمون لآخرتهم ، مع علمهم بأمور دنياهم، وفرحهم بما عندهم منه ، كما قال تعالي فيهم : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ ، وقال : ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرِدْ إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ ، فهم يجتهدون في العلم بأمور دنياهم ، ويمعنون في تحصيلها ، مع جهلهم التام بأشرف العلوم ، وهي علوم الآخرة التي هي شرف لازم لا يزول ، دائم لا يُمَل ، فجدير بمن يستبدل الذي هو أدني بالذي هو خير أن يبغضه الله ، ويمقته لشقاوته وإدباره ، فالله سبحانه وتعالي كرَّمهم بنعمة العقل ، وميزهم بها على العجماوات ، فسخروها أعظم تسخير في كل شئ من أغراض الدنيا الخسيسة كالتأنق في الشهوات والمأكل والملبس والترفه ، إلا الشئ الذي خُلقوا من أجله ، وهو عبادة الله وحده ، لا شريك له ، واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام ، ولهذا قال تعالي في حقهم :﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ .

وقال عز من قائل في سورة الروم : ﴿ وعدَ الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس ﴾ يعني الكفـــار ﴿ لا يعلمون ﴾ بحكمته تعالي ، في كونه وأفعاله المحكمة ، الجارية على وفق العدل ، لجهلهم وعدم تفكرهم ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ وهو مايوافق شهواتهم وأهواءهم ﴿ وهم عن الآخرة ﴾ التي هي المطلب الأعلي ﴿ هم غافلون ﴾ أي لا يُخطرونها ببالهم ، فهم جاهلون بها ، تاركون لعملها .

وقوله سبحانه : ﴿ يعلمون ﴾ بدل من قوله ﴿ لا يعلمون ﴾ وفي هذا الإبدال من النكتة ، أنه أبدله منه ، وجعله بحيث يقوم مقامَه ، ويَسُدُّ مَسَدَّه ، ليُعْلِمَكَ أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل ، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا .

﴿ ظاهراً ﴾ يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطنًا ، فظاهرها :ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها ، والتنعم بملاذها ، وباطنُها ، وحقيقتُها: أنها مجاز إلي الآخرة ، يُتَزَوَّدُ منها إليها بالطاعة والأعمـــال الصـــالحة. وقيل : ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ يعني أمر معايشهم ودنياهم : متي يزرعون؟ ومتي يحصدون ؟ وكيف يغرسون ؟ وكيف يبنون ؟ وقيل : « هو بنيان قصورها ، وتشقيق أنهارها ، وغرس أشجارها » .

قال الحسن : « بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ، ولا يحسن أن يصلي» ، وقال أبو بكر بن عياش : (مسكين محب الدنيا ؛ يسقط منه درهم ، فيظل نهاره يقول : « إنا لله ، وإنا إليه راجعون » ، وينقص عمره ودينه ، ولا يحزن عليه) .

ومن البلية أن تري لك صاحبًا ... في صورة الرجلِ السميع المبصرِ

فطنٍ بكل مصيبةٍ في مـــالِهِ ... وإذا يُصـابُ بدينـــه لم يشـــعرِ

ولهذا كان في دعاء النبيﷺ : « اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا » .

وصف سعد بن معاذ رضي الله عنه المشركين ، فقال :

« رأيت قومًا ليس لهم فضل علي أنعامهم ، لا يهمهم إلا ما يجعلونه في بطونهم وعلي ظهورهم ، وأعجب منهم:قوم يعرفون ما جهل أولئك ، ويشتهون كشهوتهم » .

شاهد من أهلها

لماذا يلحدون ؟

بقلم الفيلسوف الإنكليزي المعاصر
ألدوس هَكْسلي (١)

(إن الغرب ليس متقدماً ، بل هو متقهقر منحط ، وتقهقره هو نتيجة ابتعاده عن التوحيد (٢) ، فإن أوربا مُنيت بوثنية جديدة ، فهي تعبد الأصنام، وقد اخترعت أصناماً جديدة كالوطنية والقومية والجماهير والعقل والعلم وما إلي ذلك ، فهذه هي آلهة الغرب ..

إن التقدم ليس بتقدم الآلة ، التقدم بالبر والإحسان ، أوبالتقوي والأخلاق ، وأوربا ليس عندها أخلاق ، لأنها تضطهد وتعذب البشر تعذيباً وحشيًا ، بل إن الغربيين لا تتحرك ضمائرهم عندما يجدون إنساناً يعذَّب ويُمَثَّل بإنسان آخر ؛ بل ينظرون ويشاهدون ذلك في فيلم في السينما ، فيهشون ، وكأن ذلك مسلاة لهم كصراع الثيران ..)

ثم يقول في فصل آخر : (ليس الإله هو إله النصاري المجسمة ، بل هو الإله المنزه عن التجسم ، الواحد الأحد) ويشرح هذا شرحاً مطولاً ، ثم يقول :

(ليس هناك إلحاد ، وإنما هنالك إيمان بآلهة مزيفة .. الإلحاد ليس أمراً معقولاً أبداً؛ وإنما هو نتيجة لأسباب عارضة) (٣) ثم يذكر سببين كبيرين للإلحاد :

(أولهما : الشهوات ،أي الانطلاق مع الغريزة الجنسية ، إذ يدفع أهلها إلي أن يشعرواوهم يمارسون فجورهم وفسقهم براحة

(١) وهذا الكاتب ليس بمسلم ، وهذه الفقرات مختصرة من كتابه : «الغايات والوسائل » نقلاً من « النظرة الإسلامية إلي الكون والإنسان والحياة » للأستاذ محمد المبارك رحمه الله .

(٢) وهذه الكلمه (التوحيد) مترجمة ترجمة حرفية .

(٣) كأنه لم يبق بين الكاتب وبين سعادة الأبد سوي خطوة واحدة يخطوها إلي الأمام نحو الملة الحنيفية ، بأن ينطق شهادة الحق معتقداً معناها ، وتأمل - رحمك الله - شدة اقترابه من بعض حقائق عقيدة التوحيد الأساسية ، كرفضه عقيدة النصاري المجسمة ، وإثباته أن التوحيد هو الأصل ، وأن الشرك طارئ على الفطرة البشرية السوية ، ثم تأمل ربطه بين التوحيد وبين ثمرته الأخلاقية في قوله : « إن أوربا متأخرة أخلاقيًا لابتعادها عن التوحيد » ا هـ .

فالحمد لله الذي أكمل لنا ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإسلام دينًا .

وبألارقابة عليهم ، حينما يكونون مؤمنين بالله يشعرون بنوع من الألم والتمزق (١)، حينئذ لا يجدون سبيلاً إلي راحة ضميرهم وهم يرتكبون هذه الآثام إلا بطريقة واحدة، وهي أن يطردوا هذا الإيمان، فيكفرون بالله،ويلحدون ليستبيحوا هذه الأنواع من الفجور) (٢) .

(السبب الأخر العارض : الدكتاتورية والاستبداد ، لأن هذا الرئيس المستبد يجد أن الله يشاركه في زعامته ، فهو لايريد زعيماً آخر منافساً له ، فالناس حينما يؤمنون بعظمة الله وجبروته يتحررون من جبروت البشر وعبادة البشر، ويصبح الرئيس والملك والجميع عبيداً من عباد الله، وبما أن المستبدين يكرهون هذا لأنهم يريدون الانفراد بالزعامة والتأله ، ولذلك فإنهم يسلكون مسلك الإلحاد)(٣) ا هـ .

(١) أليس هذا مصداق قول الصادق المصدوق ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » رواه الشيخان .

وقوله ﷺ : « إذا زني العبد خرج منه الإيمان ، فكان علي رأسه كالظلة ، فإذا أقلع رجع إليه » رواه أبو داود، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٢) أليس هذا هو نفس المعني الذي تضمنه قول الله جل وعلا : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة* أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوى بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر أمامه * يسأل أيانَ يوم القيامة ﴾ .

قال الفراء : (ليس من نفسٍ محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها ؛ فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحساناً والمسئ يلوم نفسه ألا يكون ارعوي عن إساءته) ، وقال ابن عباس في تفسير : « بل يريد الإنسان ليفجر أمامه »: (يعني الكافر يُكَذِّبُ بما أمامه من البعث والحساب) ، وقال الضحاك : (هو الأمل ، يقول : سوف أعيش، وأصيب من الدنيا ، ولا يذكر الموت) .

(٣) أليس هذا هو نفس ما تضمنته سورة القصص وغيرها من السور التي تشير إلي تأله فرعون القائل : « ما علمت لكم من إله غيرى » والقائل : « ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » ، والقائل : « أناربكم الأعلى »، ومِنْ ثَم سمي بعضهم سورة القصص سورة التحرير، تحرير الإنسان من العبودية لغير الله عزوجل .

موضوع العدد

أعمال الكافر .. هل تنفعه ؟

دل القرآن العظيم علي أن العمل الذي ينفع العبدَ هو العمل الصالح ، وأن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة شروط :

الأول : موافقته لما جاء به النبي ﷺ ، لقوله تعالي : ﴿ وماءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الآية (الحشر:٧)، ولقوله ﷺ :« من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رَدٌّ » رواه البخاري ومسلم.

الثاني : أن يكون خالصاً لله تعالي ، لقوله عز وجل : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ الآية (البينة : ٥) وقوله جل وعلا : ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له دينى﴾ (الزمر: ١٤) ، ولقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » الحديث متفق عليه .

الثالث : أن يكون مبنيًا علي أساس العقيدة الصحيحة ، لأن الله سبحانه يقول: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ الآية (النحل : ٩٧) ، فقيَّد ذلك بالإيمان ، ومفهومه : أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح .

وكذا قوله تعالي : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾(الإسراء : ١٩) .

وقوله جل علا : ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظْلَمون نقيراً﴾ (النساء : ٢٤) وقوله سبحانه : ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ (غافر : ٤٠)، ومفهوم هذه الآيات : أن غير المؤمن إذا أطاع الله بإخلاص لا ينفعه ذلك ، لفقد شرط القبول الذي هو الإيمان بالله جل وعلا .

وقد أوضح الله سبحانه وتعالي هذا المفهوم في آيات أخر ، كقوله في أعمال غير المؤمنين :﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ (الفرقان : ٢٣) .

وقوله سبحانه :﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لايقدرون مماكسبوا على شئ﴾ (إبراهيم :١٨) وقوله عزوجل﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب ﴾(النور:٣٩)وقوله جل وعلا

﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم﴾(الأحزاب : ١٩)، وقوله سبحانه :﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ (الزمر : ٦٥)، وقوله تعالي :﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾(البقرة : ٢١٧) .

الدنيا جنة الكافر

وقد بيّن الله عز وجل في آيات أخر أن عمل الكافر الذي يتقرب به إلي الله- كبر الوالدين ، وصلة الرحم ، وإكرام الضيف ، وحسن الجوار ، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد ، والتنفيس عن المكروب ونحوذلك - فهو إنما يجازي به في الدنيا ،ولاحَظ له منه في الآخرة ، كقوله سبحانه :﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ (هود : ١٥ - ١٦)، وكقوله عز وجل :﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب﴾(الشوري : ٢٠) .

وثبت عن النبي ﷺ نحو ما جاءت به هذه الآيات من انتفاع الكافر بعمله في الدنيا، وذلك فيما رواه أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة ، يُعْطي بها في الدنيا، ويُجزي بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتي إذا أفضي إلي الآخرة لم تكن له حسنَةٌ يُجْزَي بها » رواه مسلم وغيره .

وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الكافر إذا عمل حسنة أُطْعِمَ بها طُعْمَةً من الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله يَدَّخِرُ له حسناته في الآخرة،ويُعقبُه رزقًا في الدنيا علي طاعته» رواه مسلم . واعلم - وفقك الله -أن انتفاع الكافر بالعمل الصالح مقيد بمشيئة الله عز وجل كما نص علي ذلك بقوله جل وعلا :﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ الآيــة (الإسراء : ١٨) فهذه الآية الكريمة مقيدة لما سبق ذكره من الآيات والأحاديث .

الكفـــار مسئولون عن فروع الشريعة

واعلم - وفقك الله - أن الكفارمخاطبون بفروع الإسلام ، مسئولون عن تكاليف الشرع ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، ولكنها لا تصح منهم إذا فعلوها إلا بالدخول في الإسلام أولا ، فالإسلام شرط لصحة هذه التكاليف ، كالمحدث يخاطَب بالصلاة ، وبما لا تصح الصلاة إلا به كالطهارة ، من باب :« ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب» ، وكلمة التوحيد أعلي شعب الإيمان، وهي شرط في صحة باقيها.

أما الأدلة علي أن الكفار مسئولون عن فروع الشريعة : فمنها قوله تعالي : ﴿ ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نـك نطعـم المســكـين ﴾ الآيــات (المدثر:٤٢)، وفيها التصريح بأن من الأسباب التي سلكتهم في سقر عدم إطعام المسكين ، وهو من فروع الشريعة .

ومنها قوله عز وجل ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾(الحاقة : ٣٢) ، ثم بيّن السبب فقال عز من قائل : ﴿ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾ الآية (الحاقة : ٣٤) .

ومنها قوله سبحانه : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق﴾ إلي قوله:﴿ يُضاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويخــلد فيــه مهاناً ﴾ الآية(الفرقان ٦٩) .

لأن الآية نص في مضاعفة العذاب في حق مَن جمع بين المحظورات .

فإن قيل : كيف يكون الكفار مخاطبين بفروع الإسلام في حين أنهم لا يُكَلَّفون بقضائها بعد إسلامهم ؟

فالجواب :ما قاله رسول الله ﷺ :« الإسلام يَجُبُّ - وفي رواية : يهدم - ما كان قبله» رواه مسلم ، ومعني يجب : يقطع، « ما كان قبله » من كفر وعصيان ومايترتب عليهما من حقوق الله عز وجل،

أما حقوق عباده فلا تسقط إجماعاً ، فمجرد الإسلام مكفر للسوابق من الكفر والخطايا ، فماذا عن حسنات الكافر السابقة؟

حسنات الكافر موقوفة

صح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أسلفها ، ومحيت عنه كل سيئة كــان أزلفها ، ثم كان بعد ذلك القصاص ، الحسنة بعشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها » رواه البخاري معلقًا والنسائي.

وهذا الحديث الشريف يدل علي أن حسنات الكافر موقوفة : إن أسلم تقبل، وتنفعه في الآخرة ،وإن بقي كافراً حتي مات تحبط ، وعلي هذا الأساس نفهم أن قوله عز وجل : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ الآية (النور:٣٩)، وقوله سبحانه : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا ﴾ (الفرقان : ٢٣) وقوله جل وعلا :﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ﴾ الآية (إبراهيم : ١٨)، وقوله سبحانه : ﴿ أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ﴾ (الأحزاب : ١٩) ونحوها إنما يقصد بها من مات علي الكفر ، وختم له به والعياذ بالله ، فإن الأعمال بالخواتيم ، وقد قال الله تعالي : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ (محمد : ٣٤) وقال عز وجل : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ (آل عمران : ٩١) ، وقال سبحانه :﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾(البقرة : ١٦١) .

كذلك ينبغي أن نفهم قوله ﷺ: « الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله » علي أن الإسلام يهدم ما قبله من الخطايا ، فهو وارد في السيئات السابقة ، وأما الحسنات السابقة فقد دلت عدة أحاديث علي نفس مادل عليه حديث أبي سعيد السابق من أن الكافر إذا أسلم نفعه عمله الصالح في الجاهلية ، بخلاف ما إذا مات علي كفره ، فإنه لا ينفعه ، بل يحبط بكفره(*) : منها : مارواه حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : « أيْ رسولَ الله أرأيتَ أموراً كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم ، أفيها أجر ؟ فقال رسول الله ﷺ « أسلمتَ علي ما أسلفتَ من خير » أخرجه البخاري ، ومسلم .

وعن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت : قلت : « يارسول الله ابن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المساكين ، فهل ذلك نافعه ؟ »

فقال ﷺ « لا ياعائشة ، إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » رواه مسلم وغيره .

وقد دلت بعض الأحاديث علي أن

(*) ولذلك قيل : « سيئة الموحّد أفضل من حسنة المشرك ، وسيئة المسلم تغفر ، وحسنة الكافرلا تُقبل »

هناك أعمالا ينتفع المؤمن بها حتي وهو بين أطباق الثري منها :

مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :« إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم وغيره .

وعنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته ، علمًا عَلّمه ونشره ، وولداً صالحًا تركه ، ومصحفًا ورّثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن ، وابن خزيمة في « صحيحه » ، والبيهقي في سننه .

أما من مات على الكفر فإن شؤم كفره يحول دون وصول ثواب أي عمل له، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (أن العاص بن وائل السهمي أوصي أن يعْتق عنه مائة رقبة ، فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة ، وأراد ابنه عمرو أن يعتق عنه الخمسين الباقية ، قال : حتي أسأل رسول الله ﷺ، فأتي النبيَّ ﷺ ، فقال : يارسول الله إن أبي أوصي أن يُعْتَقَ عنه مائة رقبة، وإن هشامًا أعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون ، أفأعتق عنه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنه لو كان مسلمًا فأعتقتم، أو تصدقتم عنه ، أو حججتم عنه بَلَغَهُ ذلك » وفي رواية للإمام أحمد : « فلو كان أقر بالتوحيد فَصُمْتَ وتصدقتَ عنه نفعه ذلك » حسن. رواه أبو داود والبيهقي.

دل القرآن العظيم والسنة المشرفة علي أن اليهودي أو النصراني إذا أسلم فإنه يؤتي أجره مرتين ، أما القرآن فقوله تعالي : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين﴾ (القصص : ٥٤) .

وأما السنة الشريفة :

فعن أبي موسي الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :

(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وأدرك النبي ﷺ فآمن به ، واتبعه ، وصَدّقه فله أجران) الحديث متفق عليه .

وفيه بيان سبب مضاعفة أجره فأجرُ لإيمانه بنبيه موسي أو عيسي عليهما السلام ، وأجر لإيمانه بمحمد ﷺ ، وكذا حكم الكتابية ، لأن النساء شقائق الرجال، كما هو مطرد في معظم أحكام الشريعة، حيث يدخلن مع الرجال تبعًا إلا ما خصه الدليل .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :(كنت تحت راحلة رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، فقال قولا حسنًا ، فقال فيما قال :«من أسلم من أهل الكتاب فله أجره مرتين ، وله مثل الذي لنا ، وعليه مثل الذي علينا ،ومن أسلم من المشركين فله أجره ، وله مثل الذي لناوعليه مثل الذي علينا »)حسن ، رواه الطبراني ، وأحمد.

وفي هذا الحديث إبطال للحديث الشائع: أنه صلي الله عليه وسلم قال في أهل الذمة :« لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا »، وهذا مما لاأصل له عن النبي ﷺ ،بل ذلك الحديث الحسن صريح في أنه إنما قال ذلك فيمن أسلم من المشركين وأهل الكتاب.

ومجمل القول :

١ - أن للعمل الصالح شروطًا ثلاثة هي : موافقة هدي النبي ﷺ ، وإخلاص النية لله عز وجل ، وأن يكون فاعله مسلمًا .

٢- أن غير المسلم إذا أطاع الله بإخلاص لا ينفعه ذلك في الآخرة بل عمله حابط .

٣ - أن الله سبحانه يجازي الكافر علي أعماله الحسنة في الدنيا فقط إذا شاء عز وجل .

٤- أن الكفارمخاطبون بفروع الشريعة لكنها لا تقبل منهم إذا عملوها إلا بعد أن يسلموا.

٥ - أن الإسلام يمحو عمن أسلم ما اقترفه في الشرك من كفر ومعاصٍ إلا حقوق العباد .

٦ - أن حسنات الكافر موقوفة :

- فإن أسلم فإنها لا تحبط ، بل تُقبل منه ، ويُجازَي عليها ، وتنفعه في الآخرة .

- وإن مات علي الكفر - عياذاً بالله من ذلك - تحبط ، ولا تنفعه في الآخرة .

٧- أن الكتابي إذا أسلم يُضاعَف له أجره ، لإيمانه بنبيه عليه السلام وبرسول الله محمد ﷺ .

المحرر

بقية ص ١

وفي اليوم المذكور وقف الأخ «أبو سفيان » داعياً إلي الله عز وجل ، فانبري له رجل بريطاني نصراني فأخذ يقاطعه ويشوش عليه ،ثم تدني إلي ماهو أشنع من ذلك ، فطوعت له نفسه أن يلعن ويسب الله عز وجل، والرسول ﷺ ، والإسلام ، فلم يمهله الله عز وجل طرفة عين ، وإذا بالخبيث يخر في الحال علي وجهه صريعاً للبدين وللفم بعد أن بال علي نفسه ، وأخذت الرغوة الكريهة المقززة تنبعث من فمه ، وفشلت كل محاولات إسعافه ، إذ كان قد نفق في الحال ، وأفضي إلي جبار السموات والأرض جل وعلا ، وكان أحد رجال الشرطة البريطانيين المخصصين لحفظ الأمن والنظام يرقب الموقف برمته مع الحاضرين عن كثب ، فلما نفضوا أيديهم منه ، وأيسوا من حياته ، أقبل الشرطي نحو أخينا « أبي سفيان » قائلا له : « هذا ربك قد انتقم منه في الحال؟» ، فأجابه «أبو سفيان»: « نعم هو الله الذي فعل ذلك ، فادعوا الروح القدس كي تعيده إلي الحياة إن استطعتم » ، وصدق الله العظيم ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ .

(الحجر : ٩٥)

نظرة فى تاريخ العقيدة (٢)

بيّنا في العدد السابق أن البداية الحقيقية لتاريخ الإسلام دينًا ، والمسلمين أمةً ، لم تبدأ برسول الله محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا ، وإنما بدأت منذ فجر التاريخ البشري مع خلق آدم عليه السلام ، فاللبنة الأولي في تاريخ البشرية ، والمكونة من آدم وحواء وذريتهما فُطروا علي الإسلام ، وكذلك كل من جاء بعدهم من الأنبياء والرسل كان لهم شرف حمل رسالة الإسلام والدعوة إليها ، وقد استجاب لهم المؤمنون المسلمون الذين عاشوا بالإسلام، وللإسلام ، ومنهم تكونت الأمة الإسلامية ، وفيما يلي مزيد بيان لهذه:

الحقيقة الثالثة :

أن التوحيد هو الأصل ، والشرك طارئ عليه

أولا : الجيل الأول من البشرية كان على التوحيد :

هبط آدم إلي الأرض ، وأنشأ الله من ذريته أمة كانت علي التوحيد الخالص ، كما قال الله تعالي : ﴿ كانَ النّاسُ أُمّةً واحِدة﴾أي علي التوحيد والدين الحق، فاختلفوا ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ « سورة البقرة / ٢١٣ » ، وفي حديث أبي أمامة أنّ رجلا سأل الرسول ﷺ قال: « يارسول الله أنبي كان آدم ؟ » قال: « نعم ، مُكلّم » ، قال : « فكم بينه وبين نوح ؟ » قال : «عَشْرَةُ قُرونٍ » رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، وقال ابن كثير في«البداية والنهاية : (هذا علي شرط مسلم، ولم يخرجه) ، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : (وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) .

ثانياً : أول انحراف عن العقيدة ، وأول رسول:

وبعد أن كان الناس أمة واحدة علي التوحيد حصل الزيغ والانحراف ، وكان أول انحراف حدث هو الغلو في تعظيم الصالحين، ورفعهم إلي مرتبة الآلهة المعبودة ، ففي صحيح البخاري من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالي:﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ « سورة

(*) مصادر جمع هذه المقالة :

١- « العقيدة في الله » د عمر سليمان الأشقر .

٢ - « العقيدة نبع التربية » د أحمد بن ناصر الحمد .

٣ - « الإسلام دين الله في الأرض وفي السماء » د جمال عبد الهادي . د وفاء جمعة .

نوح / ٢٣ » ، قال : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحي الشيطان إلي قومهم « أن انصبوا إلي مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا ، وسموها بأسمائهم » ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتي إذا هلك أولئك ؛ وانتسخ العلم - نُسي ودرس - عُبدت) .

فهذا أول انحراف وُجد في تاريخ البشرية عن التوحيد ، فأرسل الله إليهم أول رسله نوحًا عليه السلام مصداقاً لوعده الذي أعطاه لأبي البشر آدم بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب هداية للبشرية ، والدليل علي أنَّ نوحاً كان أول رسول مبعوث : حديث الشفاعة الثابت في صحيحي البخاري ومسلم ، وفيه : « أن الناس يأتون بعد آدم نوحاً فيقولون له فيما يقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً »، والنصوص التي بين أيدينا من كتاب ربنا تدل دلالة واضحة علي أن نوحاً قد دعا إلي التوحيد الخالص ، فقد قال لقومه : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ « سورة الأعراف / ٥٩ » وقال : ﴿ ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ « سورة هود / ٢٦ » وقال : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ « سورة المؤمنون / ٢٣ » ، والذين استجابوا لدعوته للتوحيد هم ضعفاء الناس ، في حين تنكر لها السادة والزعماء الذين يظنون في أنفسهم العقل والذكاء حيث استكبروا عن متابعة الحق : ﴿ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين﴾ « سورة الأعراف / ٦٠ » والملأ: السادة والكبراء ، وقالوا له : ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادىَ الـــرأى ﴾ « سورة هود / ٢٧ »

اتبعوك بدون تأمل عميق ، وتفكير ونظر، وهذا الذي رَمَوْهم به هو ما يجب أن يمدحوا به ، فإن الحق إذا ظهر لا يحتاج إلي نظر ، بل يجب اتباعه .

وتعجبوا أن يبعث الله رسولا بشراً، فقالوا: ﴿ ما نراك إلا بشراً مثلنا ﴾ « سورة هود / ٢٧ » ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ « سورة المؤمنون / ٢٤ » وطلبوا منه أن يطرد الضعفاء والمساكين الذين تابعوه ، فرفض طلبـــهم : ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون﴾ «سورة هود / ٢٩ » .

وقد تطاول الزمان، وكثرت المجادلة بينه وبينهم كما قال الله تعالي : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ « سورة العنكبوت / ١٤ » ، فدعـــا عليـــهم : ﴿ وقال نوح ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجرا كفاراً ﴾ « سورة نوح / ٢٦-٢٧ »، فأهلكهم اللـــه بالطوفـــان

:﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ﴾« سورة الفرقان / ٣٧ »، وأنجي نوحاً والمؤمنين برحمة منه ، وخلت الأرض من الظالمين ، ولم يبق فيها إلا الموحدون ، فلما انحرفوا عن التوحيد أرسل الله إليهم رسولا ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم ﴾ « سورة المؤمنون / ٣٠-٣١ » فدعاهم إلي توحيـــد الله ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ ، وهكذا استمرت رحمة الله وعنايته ببني آدم كلما ضلوا؛ وزاغوا ؛ أنزل إليهم هداه يضئ لهم الظلمـــات : ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمةً رسولُها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقـــوم لايؤمنـــون﴾ « سورة المؤمنون / ٤٤ ».

هذه هي قصة البشرية الحقيقية :صراع طويل بين الحق والباطل ، بين الرسل الذين يَعْرِضون الهدي والحق ، وبين الضالين عن التوحيد المتمسكين بما ألفَوا عليه الآباء والأجداد ، وبأهوائهم ومعتقداتهم الباطـــلة : ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا : إنا كفرنا بما أرسلتم به ، وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب ، قالت رسلهم : أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ، قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين﴾ .

« سورة إبراهيم / ٩ - ١٠ »

ثالثاً : الشرك الطارئ انحطاط وهبوط من الأعلى(= الفطرة) إلى الأدنى ، وليس تطوراً ولا ترقياً :

فليس السبب في الشرك واتخاذ المعبودات من دون الله هو الترقي في العقيدة خلال القرون، بل سببه الحقيقي هو :

انحراف أتباع الرسل عما جاءت به الرسل ، وتركهم ما جاءت به الرسل: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ﴾ « سورة طه / ١٢٤ » واتباعهم الظن والهوي وتركهم الهـدي: ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ « سورة النجم / ٢٣ » ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيـــل﴾ « سورة المائدة /٧٧ » ، وقال في اليهـــود : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونَسُوا حظاً مما ذُكِّروا به ﴾ « سورة المائدة / ١٣ » ، وقال في النصاري : ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكِّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيـــامة﴾ « سورة المائدة /١٤ »، وقال فيهم مبيناً انحرافهم عن التوحيد الذي أُمـــروا بـــه : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشـــركون﴾ .

«سورة التوبة/ ٣١ »

لذا فإن الرسل يتبرؤون من الذين انحرفوا عن منهجهم ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلتَ للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس

لى بحق ، إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه ، تعلم ما فى نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ .

« سورة المائدة / ١١٦ - ١١٧ »

الحقيقة الرابعة :

أن الله تعالى لم يترك أمة بلا نذير

أولا : آدم - عليه السلام - هو أول البشر خلقه الله - تعالي - من تراب ، من غير أب، ولا أم ، ثم خلق منه زوجه ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، وبداية عيش هذا النوع كانت في الجنة ، ثم أهبط إلي الأرض ، عرف ربه في السماء ، وتوجه إليه وأناب بعد أن أهبطه إلي الأرض .

وقد تولي تبارك وتعالي هذا النوع من خلقه بهداه إذ لا صلاح له ، ولا بقاء في هذه الدنيا إلا باتباع هدي الله - تعالي - قال سبحانه : ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ « البقرة : ٣٨ »، وقال تعالي: ﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾

« طه : ١٢٣ - ١٢٤ »

ثانياً : لم يخلق الله تعالي الإنسان عبثًا، ولم يتركه سدًي ، إنما خلقه لحكمة وغاية، وامتحنه بالفعل والترك فيما أوحاه إلي رسله، يقول تعالي : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً ، وإما كفوراً ﴾ (الإنسان :١- ٣).

ويقول تعالي: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ « المؤمنون : ١١٥ »، ويقول تعالي : ﴿ أيحسب الإنسانُ أن يُترك سدى ﴾ « القيامة : ٣٦ »،ويقول تعالي : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ « الكهف : ٧ »، ويقول تعالي : ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهوالعزيز الغفور﴾ « الملك : ٢ » ، ويقول تعالي : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ « الذاريات : ٥٦ ».

ثالثاً : تعهد الله هذا النوع من خلقه بوحيه، فأول البشر خلقًا - آدم ، عليه السلام - كان أول المجتبين المخاطبين بوحي الله - تعالي - وهو ممن كلم الله - تعالى- واصطفاه بالنبوة ، روي الإمام أحمد بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال:« أتيت رسول الله ﷺ ، وهو في المسجد، فجلست » الحديث ، وفيه : قلت : يا رسول الله : « أي الأنبياء كان أول ؟ » قال : « آدم قلت : يا رسول الله ونبي كان»، قال : « نعم، نبي مكلّم » .

ويقول تعالي : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة

رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ « النحل : ٣٦ » .

ويقول تعالي : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ، وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ « فاطر : ٢٤ » .

دلت النصوص السابقة علي تعهد الله - تعالي - الإنسان من أول وجوده بما فيه كماله، بالشرائع السماوية الداعية إلي عبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه ، ولم يترك تبارك وتعالي أمة اقتضت حالتها بعث نبي إلا وبعثه ، كأن يكون ما بأيديهم من شرع لأمة سابقة ، ولا يناسبهم ،أو أن يكون ما بأيديهم من شرع طرأ عليه محو ، أو تغيير، أو نحو ذلك .

وتكفل عز وجل أنه لا يعذب أحداً إلا بعد أن تقوم عليه الحجة وتبلغه دعوة الرسول، يقول تعالي: ﴿ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ « الإسراء : ١٥ » .

ويقول تعالي : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ « النساء : ٦٥ »

رابعاً : دعوة الرسل واحدة :

دعوة الرسل واحدة ، فأصل دعوتهم جميعاً ولبها التوحيد : تعريف الناس علي ربهم ومعبودهم ، وبيان للطريقة التي يعبدونه بها كما أن دين الرسل جميعاً الإسلام لا دين لهم سواه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ « سورة آل عمران : ٨٥ »، فنوح يقول : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ « سورة يونس / ٧٢ » ، وقال الله عن التوراة : ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ « سورة المائدة / ٤٤ »، وقال موسي لقومه : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ « سورة يونس :٨٤ » ، وأمر الله خليله إبراهيم بالإسلام ، فقال : ﴿ أسلمتُ لرب العالمين ﴾ « سورة البقرة/ ١٣١ » ، ﴿ ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ « سورة البقرة /١٣٢ » ، وعندما سأل يعقوب بنيه عن معبودهم من بعده ﴿ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق إلهاً واحداًونحن له مسلمون ﴾ « سورة البقرة / ١٣٣ »، وملكة سبأ قالت : ﴿ رب إني ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ « سورة النمل / ٤٤ » ، ويوسف كان من دعائه : ﴿ توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ﴾ « سورة يوسف / ١٠١ » والرسول - ﷺ - يقول : ﴿ إنا معاشرالأنبياء ديننا واحد ، والأنبياء إخوة لعَلات﴾ ، أي أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة وكذلك الأنبياء دينهم واحد ، وشرائعهم مختلفة .

وهذا التنوع الذي نراه في الشرائع لا يدل علي أن دينهم كان مختلفًا، لأن الله قد يشرع أمراً لحكمة ، ثم يشرع أمراً آخر في وقت آخر لحكمة أخري ، بل قد يكون هذا في الشريعة الواحدة ، كما شرع الله في بداية الأمر الاتجاه إلي بيت المقدس في الصلاة ، ثم نسخ ذلك بأن أمر بالتوجه إلي

البيت الحرام ، فكان الإسلام أولا التوجه إلي القدس ، ثم أصبح التوجه إلي الكعبة ، وكذلك شرائع الأنبياء : فالمتأخر ينسخ المتقدم ، وأصبحت الشريعة المنزلة علي محمد ﷺ هي الشريعة الخاتمة الناسخة لما قبلها من الشرائع .

والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها إلا أن الجميع آمرة بعبادة الله وحده، لا شريك له ، وهو دين الإسلام الذي ارتضاه الله لجميع الأنبياء (*) ، وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة، كما قال الله تعالي : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

« يتبع إن شاء الله تعالى »

إعـداد : محمد بن أحمد بن إسماعيل

(*) ويترتب علي إدراك هذه الحقائق أيضًا النظر إلي تاريخ الأمم التي سكنت الجزيرة العربية - مصر - العراق - بلاد الشام - اليونان - الروم ... إلخ منذ أقدم الدهور علي أنه تاريخ أمم عاشت في ظل دعوة الرسل ، بعض منها اعتنق الإسلام ، وكوّن المجتمع المسلم، ومنهم من رفض دعوة الرسل ، وظل مُصراً علي جاهليته ، أي أن المجتمع كان موزعًا بين الجاهلية والإسلام ، وليس تاريخاً جاهليًا محضًا (أو وثنياً) ، ويترتب على ذلك أيضا أن لهذا الكون خالقًا خلقه ، واستخلف الإنسان فيه لغاية ، وأنه قد زوده بمقومات الخلافة ، وأعلمه عن طريق الرسل بعد أن أخذ عليه العهد أنه مكلف بالإسلام كدين لا يمكن أن يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره ولا شك في أهمية إظهار هذه الحقيقة ، حقيقة بداية تاريخ الإسلام كدين في حياة البشرية ، وأنه الدين الواحد الذي دعا إليه الرسل جميعًا ، وأنه بمثابة الصرح الضخم الذي قام كل نبي ببناء لبنة فيه ، حتي اكتمل على يد محمد ﷺ بإرادة الله عز وجل وتوفيقه ، قال رسول الله ﷺ :

« مثلي في النبيين كمثل رجل بني داراً فأحسنها ، وأكملها ، وأجملها ، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناسُ يطوفون بالبنيان ، ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ؟! فأنا في النبيين موضع هذه اللبنة » رواه مسلم وأحمد .

عن ابن عمر أن رجلًا جاء إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله : أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : « أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضى عنه دينا ، أو يطرد عنه جوعا ، ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحب إليّ من أن اعتكف فى هذا المسجد - يعنى مسجد المدينة - شهراً ، ومن كفّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ؛ ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى تتهيأ له ؛ أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام ، وان سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » .

أخرجه الطبرانى فى « الكبير » ، وابن عساكر فى « التاريخ » ، وحسنه الألبانى فى « الصحيحة » (٩٠٦)

منشورات

منشورات - منشورات - منشورات - منشورات

يا له من دين !

درس « جوستاف لوبون » الإسلام ، وتمعن فى مظاهر عظمته ، فبهره سمو تعاليمه ، وأدهشه كمال تشريعه ، فقال كلمته الشهيرة :

« يالله من دين ، لو كان له رجال ! » .

سبحان الله !!

فى إندونيسيا المسلمة قام مجموعة من المنصرين بتنصير عدد كبير من المسلمين ، مستغلين - كعادتهم - معاناتهم من الجهل والحاجة ، ، وبعد أن فرغوا من تعميدهم فى الكنيسة أرادوا أن يكافئوهم على تنصرهم ، فسألوهم : « والآن .. ليطلب كل منكم أحبَّ أمنية إليه ، نحققها له » ، وفى عفوية فطرية ، انطلقت حناجرهم تلقائياً فى صوت واحد :

« الحج إلى مكة » !

الحمد لله على نعمة الإسلام

« ما دخلت مسجداً قط دون أن تهزنى عاطفة حارة ، أو بعبارة أخرى : دون أن يصيبنى أسف محقق على أنى لم أكن مسلماً » .

الفليسوف الفرنسى « رينان »

الله أكبر

نشرت جريدة « ترتيم » النيجيرية الواسعة الانتشار خبراً زلزل أحد معاقل التنصير فى ولاية « كنجولا » النيجيرية ، يقول الخبر : وقف القس « وليز فروس » راعى المدينة ، وبيده مصحف كان قد جذبه من بين يدى أحد الحاضرين ، ثم ألقى به على الأرض ، وسكب عليه مقداراً من البنزين ، وأشعل عوداً من الثقاب لحرقه ، « لكن النار شبت فى يد القس » قبل أن يلقى بعود الثقاب على المصحف ، وأصيبت يده بحروق شديدة ، « ولم تمس النار المصحف » ، وكان الحاضرون يتابعون المشهد وهم فى ذهول ، حيث جرى ذلك أثناء قداس فى الكنيسة ، وعقب هذا الحادث مباشرة ، أعلن القس دخوله فى الإسلام ، وتبعه رئيس الكنيسة « يعقوب موسى » ، وتوالى دخول المنصرين فى الإسلام ، حتى بلغ عددهم ٢٠٠ منصر ، وتحول هذا القس إلى « داعية إسلامى كبير » .

مناظرة

يُحكى عن بعض الأئمة أنه ناظر بعض علماء اليهود ، فقال له اليهوديُّ : « أنا لا أوافقك على نبوة محمد ، وأنت توافقنى على نبوة موسى » ، فقال له الإمام : « إن كان موسى الذى أقرّ بنبوة محمد ﷺ ، وبَشّرَ به ، فأنا أوافقك على نبوته ، وإن كان الذى ما أقر بنبوة محمد ﷺ ، فلا أوافقك على نبوته » ، فانقطع .

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★

قرارات الحرمان .. لماذا ؟

حينما كانت البعثات الطلابية النصرانية تفد إلى ديار الإسلام وحواضره لتلقى العلم رغماً عن رجال الكنيسة ، كان ذوو هؤلاء الطلاب ورجال الكنائس التى يتبعونها يبذلون كل جهدهم لوضع حواجز نفسية فى نفوس هؤلاء الطلاب وعقولهم تحول دون تأثرهم بالفكر الإسلامى ، وبحياة المسلمين ، ولقد بلغ من حرص الكنيسة على هذا أنها أصدرت قراراً كنسياً تقول فيه :

« إن هؤلاء الشبان الرقعاء الذين يبدأون كلامهم بلغات بلادهم ، ثم يكملون كلامهم باللغة العربية لنعلم أنهم تعلموا فى مدارس المسلمين ، هؤلاء – إن لم يكُفُّوا عن ذلك – فستصدر الكنيسة ضدّهم قرارات حرمان » .

« المدخل إلى تاريخ العلم »

لغـــة العلـــم

قال المؤلف الشهير « جورج سارتون » :

« حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر فى القرون الوسطى ، فقد كُتبت أعظم المؤلفات قيمة ، وأكثرها أصالة ، وأغزرها مادة فى تلك العصور باللغة العربية التى كانت من منتصف القرن الثامن الميلادى وحتى نهاية القرن الحادى عشر لغة العلم للجنس البشرى ، والحق أنه كان ينبغى لأي كان ، إذا أراد أن يُلمّ بثقافة عصره ، وبأحدث صورها ، أن يتعلم اللغة العربية ، ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها » اهـ.

لست أدعى النبوة !

إن هذا المسلم الذكى الشجاع قد ترك لنا حيث حلّ آثار علمه وفنه ، آثار مجده وفخاره ، إن هذا المسلم الذى نام نوماً عميقاً مئات السنين قد استيقظ ، وأخذ ينادى : « ها أنذا لم أمت ! إنى أعود إلى الحياة ، لا لأكون أداة طيّعة ، أو كتلاً بشرية تُسيّرها العواصم الكبرى » .. ومن يدرى ؟! قد يعود اليوم الذى تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالمسلمين ، فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية فى الوقت المناسب ، أو الزمن الموقوت . لست أدّعى النبوة ، ولكن الأمارات الدالةَ على هذه الاحتمالات كثيرة ، لا تقوى الذرة ، ولا الصواريخ على وقف تيارها .

البرمشـــــــــادور

«لا» إلـه «إلا» اللـه

إنما التوحيد إيجاب وسلب ... فهما فى النفس عزم ومضاء

« لا » ، و« إلا » قوة قاهرة ... لهما فى القلب فعل الكهرباء

أدلة صدق النبوة المحمدية (٢)

أولًا : البشارات (*)

بقلم
الأستاذ عبد الوهاب طويلة

الغالب أن الأنبياء يبشر بعضهم ببعض، والنبي المتقدم إذا أخبر عن المتأخر لا يُشترط أن يذكر صفاته وأحواله بالتفصيل التام ؛ بل يكون ذلك في الغالب مجملا ، ولا سيما عند العوام ، أما أهل العلم فقد يصير لديهم جليًا بوساطة القرائن ، وربما يبقي خفيًا عليهم ، فلا يعرفون مصداقه إلا بعد مجئ النبي اللاحق ، وإخباره أن المتقدم قد أخبر عنه ، وبشر به ، مع ظهور صدق ادعائه بدلائل النبوة الأخري من معجزات وغيرها .

ولاريب في أن أهل الكتاب من يهود ونصارى كانوا على علم تام بخاتم الأنبياء وبمبعثه ، إذ ما انفك كتاب سماوي عن تضمن ذكر أو بشارة به – ﷺ – لكن الغالب أن يكون ذلك بإشارات مدرجة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم لحكمة أرادها الله ، ولو كان الأمر منجليًا للعوام لماعوتب العلماء خاصة في كتمانه .

والنصوص الواردة في التوراة والإنجيل معظمها إشارات تحتاج إلي تأمل ، لا سيما وأن علماءهم كانوا ومازالوا يشوشون وجه الدلالة فيها بإلقاء الشبهات .

وازداد الأمر غموضًا بنقل هذه الأسفار من لغة إلي لغة ، ومع ذلك فإن من اطلع علي أسفار الكتاب « المقدس لدي النصاري» اليوم بعهديه القديم والجديد ، أو علي التوراة السامرية ، وأنعم النظر ، وتأمل النص ، وصبر علي ركاكة العبارة ، وسُقم الترجمة في كثير من الأحيان ، وقارن بين الطبعات القديمة والجديدة ، وبين ما نقله الأقدمون عن النسخ التي كانت في أيامهم ، سيجد بإذن الله كثيراً من النصوص ، وفيها الدلائل الواضحة والحقائق الدامغة التي لا يمكن أن تُحمل إلا علي البشارة برسول اللـه – ﷺ – .

ونحن المسلمين لا ندعي أن مدلول جميع النصوص قطعي بحيث يُلزم المعاند ، ولا مجال فيه لتأويل آخر ، لكنه في بعضها قوي يكاد يكون قطعيًا ، وفي الآخر راجح علي سائر الوجوه والاحتمالات للأدلة والقرائن ، ومن مجموع ذلك تكون الدلالة العامة علي البشارة بمحمد – ﷺ – قطعية لا يزيغ عنها إلا من سفه نفسه .

نماذج من البشارات في العهد القديم

اشتملت التوراة وسائر أسفار العهد القديم علي نصوص تبشر بخاتم النبيين ،

* (١) انظر : « بشارات الأنبياء بمحمد صلي الله عليه وسلم » .

المبعوث في آخر الزمان رحمة للعالمين ، كما تبشر بشريعته العادلة الكاملة الأبدية ، وتذكر بعض صفاته وأحواله ، لكن أهل الكتاب حرفوا وبدلوا ؛ إما من حيث الصورة والكتابة، أو من حيث المعني والتأويل .

واليهود بأسرهم مجمعون على أن في التوراة بشارةً بنبي يأتي من بعد موسي ، وإنما يفترقون في تعيينه والزيادة عليه، وسوادهم يزعم أن قائمًا يقوم فيهم من بني إسرائيل في آخر الزمان ، يقيم ملك اليهود، ويعلو به شأنهم ، كما سيأتي ، وهم يحملون البشارات كلها عليه ، وقد سَمّوه المسيح المنتظر ليوهموا العالم أنه سيكون منهم ، لا من بني إسماعيل إخوتهم كما جاءت به النصوص ....

وإن مما لا شك فيه أن نصوص البشارات كانت واضحة في بعث نبي من ذرية إسماعيل ، بل صريحة في بعض الأحيان باسم محمد ﷺ ، لكن علماء بني إسرائيل في أثناء السبي وبعده عند محاولتهم جمع أشتات التوراة المفقودة وكتابتها ؛ جعلوا عبارات البشارات تحتمل معنَيَين عند العوام؛ ليوهموهم أنه من بني إسرائيل ، ولما عادوا من السبي اختلفوا في تحديد السبط الذي يخرج منه ؛ فقال السامريون : « من سبط يوسف الصديق ، وقال العبرانيون : « من نسل داود لأنه مؤسس المملكة » .

وجاء المسيح ابن مريم عليه السلام يدعو إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويبشر بالنبي الخاتم المأمور بالجهاد وإقامة الحدود ، فكذبوه وهموا بقتله مراراً إلي أن صانه الله، وأنقذه من أيديهم ، مع أن الأنبياء قد بشرت به أيضًا من لدن موسي إلي يحيي عليهما السلام ، وأكثر الأنبياء تبشيراً به داود عليه السلام ، لكنهم كذبوه ظانين أنه ليس الذي بُشروا به .

ويري كثير من الباحثين أنه نتيجة لما لاقاه اليهود من اضطهادات ، نشأت عندهم عقيدة المخلِّص الذي سيظهر ليجمع أشتات اليهود في فلسطين ، ويُعيد مجد إسرائيل - وقد تعداهم السعد - فلهذا إذا خرج «المسيح الدجال » يُضل الناس بحيله الكاذبة، وبما يستدرجه الله به من قدرات اتبعوه ، وكانوا جندَه ، كما صح في الأخبار عن سيد الأبرار ﷺ.

أما النصاري فيحملون بشارات العهد القديم كلها علي المسيح ابن مريم ، ويزعمون أنه وحده الموعود به في كتب النبوات ، واليهود يأبَوْن ذلك وينكرون تأويلهم أشد الإنكار .

نص البشارة :

١ - بشارة هاجر بإسماعيل وبمباركته

جاء في سفرالتكوين في قصة هروب هاجر من سارة ما يلي :

١٦ / ٦ : فأذلَّتْها ساراي ، فَهَرَبَتْ من وجهها .

١٦ / ٧ : فوجدها ملاك الرب علي عين الماء في البرية .

١٦ / ١٠ : وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثِّر نسلك ، فلا يُعَدُّ من الكثرة.

١٦ / ١١ : وقال لها : ها أنت حُبلي ، فتلدين ابنًا ، وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلَّتك .

١٦ / ١٢ : وإنه سيكون إنسانًا وحشيًا يده علي الكل ، ويد الكل به ، وأمام جميع إخوته يسكن .

وجاء في السفر نفسه لدي دعاء إبراهيم لأولاده ما يلي :

١٧ / ١٦ : وأباركها - أي سارة - وأعطيك أيضًا منها ابنًا ، أباركها فتكون أممًا ، وملوكُ شعوبٍ منها يكونون .

١٧/ ٢٠ : وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره جداً جداً ، اثني عشر رئيسًا يلد ، وأجعله أمة كبيرة .

وجاء فيه أيضًا في قصة رحيل هاجر وإسماعيل إلي فاران ما يلي :

٢١ / ١٢ : لأنه بإسحاق يُدعَى لك نسل .

٢١ / ١٣ : وابن الجارية أيضًا سأجعله أُمَّةً ، لأنه نسلك .

وفي التوراة السامرية : لشعب كبير أجعله ٢١ / ١٧ : فسمع الله صوت الغلام، ونادي ملاك الرب هاجر .

٢١ / ١٨ : قومي احملي الغلام ؛ وشدي يدك به ، لأني سأجعله أمة عظيمة.

توضيح البشارة :

هربت هاجر من إيذاء سيدتها سارة ، فسمع الله تضرعها ، وأرسل إليها ملاكه ليبشرها بأنها حبلي ، وستلد ولداً مباركًا ، لا يعد نسله من الكثرة ، وستكون يده فوق أيدي الجميع ، ويد الجميع تحت يده ، وسوف يسكن حول جميع إخوته .

كما سمع الله سبحانه دعاء إبراهيم ، فبارك ولديه إسماعيل وإسحاق معًا ، ووعده بأن يجعل من ذريتهما أممًا وملوكًا .

وبشَّر هاجر بذلك أيضًا بعد أن رحلت مع ولدها إلي برية فاران ، وسكنت في وادٍ غير ذي زرع بين جبال فاران .

وقد تحقق الوعد لإسحاق ، فكثر نسله ، واصطفي الله من ذريته موسي عليه السلام برسالاته وكلامه ، وقام من بعده بالدعوة في بني إسرائيل أنبياء وعلماء وملوك كثيرون ، هذه بركة إسحاق ، فما بركة إسماعيل ؟

إن علماء اليهود والنصاري يقولون : إنها تعني ظهور الأمم والملوك من ذريته دون النبوة و التشريع ، وهذا تعسف واضح ، إذ كيف يكون هذا ، والبركة لهما واحدة ، وفي نص واحد؟! إن الله سبحانه لا يصطفي أممًا وملوكًا ويتركهم بدون هدي منه ، وكيف يصطفي ملوكًا دون أن يعطيهم شريعة يسوسون بها شعوبهم ؟!

ومن المعلوم أن يد بني إسماعيل لم تكن قبل بعثة محمد ﷺ فوق أيدي أحد من

الناس ، بل كانت النبوة والكتاب والملك في بني إسرائيل والعيس ، وهما ولدا إسحاق ، فلما بُعث محمد ﷺ انتقلت النبوة إلي بني إسماعيل ، فدانت لهم الأمم ، وخضعت لهم الملوك ، فظهر بذلك تحقيق ما جاء في التوراة.

ومن المقطوع به أنه لم يأت من صلب إسماعيل مَن بُورك ، وعظم ، وكان لشعب كبير غير محمد ﷺ ، ولم يظهر الملك في أولاد إسماعيل إلا بعد بعثته ؛ فقد ظهر علي أكثر جزيرة العرب بمن فيها من مشركين ويهود ونصاري ، ثم ظهرت أمته من بعده علي سائر الأمم ، وكانت الخلافة في قبيلة قريش التي هي قبيلة محمد ﷺ ومن ذرية إسماعيل ، فكانت يد إسماعيل فوق أيدي الناس .

واذا لم يكن محمد ﷺ نبيًا فهو ملك ، وقد علم الخاص والعام أنه أخبر عن نفسه أنه رسول الله إلي الناس كافة ، فإن كان ملكًا صادقًا عادلا فقد وجب الإيمان به ، وإن لم يكن صادقًا فهو ظالم جبار متسلط، إذ لا ظلم أشد من الكذب علي الله ، لكن كيف تكون البشري لهاجر والبركة لإسماعيل بملك ظالم يَدَّعي النبوة ، ويقهر الناس بسيفه ؟ ففي تكذيبه تجويره ، وفي التجوير رفع المنة بالنعمة ، وأي بشارة أو بركة تكون في إخبار شخص بأنه سيكون أبرز أولاده طاغية يظلم الناس، ويفتري علي الله الكذب ؟! وهل تسمي الأمة الكافرة أمة عظيمة ؟!

٢ ـ أوصاف النبى المنتظر ودلائـــل نبـوتـه

نص البشارة :

جاء في سفر التثنية علي لسان موسي - عليه السلام - ما يلي :

١٨ / ١٥ : يُقيـم لك الربُّ إلهُك نبيًا { من وسطك } من إخوتك مثلي ، له تسمعون .

١٨ / ١٧ - ١٨ : قال لي الرب .. وسوف أقيم لهم نبيًا مثلك من بين إخوتهم، وأجعل كلامي في فمه ، ويكلمهم بكل شئ آمره به .

١٨ / ١٩ : ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم فيه باسمي فأنا أكون المنتقم منه .

١٨ / ٢٠ : فأما النبي الذي يجترئ بالكبرياء ، ويتكلم في اسمي ما لم آمره به، بأن يقوله ، أم باسم آلهة أخري ، فليقتل ذلك النبي .

١٨ / ٢١ : وإن قلت في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟

١٨ / ٢٢ : فما تكلم به النبي باسم الرب ، ولم يَحْدُث ولم يَصر ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي ، فلا تخف منه .

تحليل النص :

بَشَّرت التوراة بني إسرائيل بنبي يأتي من بعد موسي، ووَصَفَتْه بما يلي :

ا - كونه من إخوة بني إسرائيل ، وليس منهم حقيقة ، كما في الفقرتين : ١٥ ، ١٨.

ب - كونه نبيًا يشابه موسي في أوصافه وخصائصه ، كما في الفقرتين : ١٥ ، ١٨ أيضًا .

جـ - إن الله سبحانه سيجعل كلامه في فم هذا النبي ، وسيكلم الناس بكل ما يُوحَي إليه، ويبلغهم إياه ، كما في الفقرة ١٨ .

د - إن الذي لا يطيع هذا النبي ، ولايقبل كلامه الذي هو وحي من الله ، فإن الله سيكون هو المنتقم منه ، كما في الفقرة ١٩ .

هـ - إن نهاية المتنبئ الكاذب الذي يفتري علي الله الكذب هي القتل كما في الفقرة ٢٠، ومفهوم المخالفة لهذه الفقرة : أن النبي المبشَّر به لن يستطيع أحد قتله .

و - من علامات صدق هذا النبي أنه سيخبر بأمور وحوادث غيبية ، سوف تتحقق وتقع كما أخبر ، كما في الفقرة ٢٢، وبذلك يتميز عن المتنبئين الكذبة .

وعلي ضوء التحليل نجد أن هذه الصفات لاتتحقق لا في عيسي ابن مريم، ولا في غيره من أنبياء بني إسرائيل للأدلة التالية :

- أما الصفة الأولى فإن البشارة إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل ، وليس من بني إسرائيل أنفسهم ، إذ لا شك أن الأسباط الاثني عشرة كانوا حاضرين عندما وَجَّه إليهم موسي - عليه السلام - خطابه، ولو كان المبشَّر به منهم لقال : أقيم لهم نبيًا منهم أو من أنفسهم ، ولم يقل « من إخوتك ، أو من إخوتهم » ، لأن إخوة القوم ليسوا أنفسهم ، بل بنو أبيهم ، ولا يُعقل في لغة من اللغات أن يقال : بنو إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل علي سبيل الحقيقة ، ولا تترك الحقيقة إلي المجاز ؛ ما لم يمنع منها مانع قوي ، ومما يدل علي أن المراد بلفظ (إخوة بني إسرائيل) غير بني إسرائيل ما يلي :

جاء في سفر التكوين ١٦ / ١٢ في بشارة هاجر بإسماعيل : « وأمام جميع إخوته يسكن ، وفي ٢٥ / ١٨ : أمام جميع إخوته نزل » .

وجاء في سفر التثنية ٢ / ٤ : «وأوصي الشعب قائلا : أنتم مارون بتُخْم إخوتكم بني عيسو (١) الساكنين في سعير .. » .

٢ / ٨ : « فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير .. »

وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل وهم العرب ، وبنو العيس وهم الروم ، فأما الروم فلم يقم فيهم نبي سوي أيوب عليه السلام ، وقد كان قبل موسي عليه السلام، فلا يجوز أن يكون هو المبشَّر به ، ولم يبق إلا العرب، وهم بنو إسماعيل إخوة بني إسرائيل، فتعين أن يكون المبشر به منهم ، ولم يخرج من وَلَد إسماعيل إلا محمد بن عبد الله ﷺ ، فيكون هو النبي الموعود به ،

(١) وعيسو وإسرائيل ولدا إسحاق ، ولذا كان بنو عيسو إخوة لبني إسرائيل ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم .

ويدعم ذلك ما سبق من وعد الله لهاجر وإبراهيم بمباركة إسماعيل ، ولو كانت هذه البشارة لنبي من بني إسرائيل لم يكن لذكر الإخوة هنا معني .

وقوله : « أقيم لهم » يدل علي عموم رسالته ، وقد خاطبهم بذلك ووصاهم بطاعته لئلا يظنوا أنه مرسل إلي العرب خاصة ، فلا يؤمنوا به عند بعثته وظهوره .

وأما الصفة الثانية : وهي كونه نبيًا يشابه موسي في أوصافه وخصائصه وأعماله ، ويماثله في كونه صاحب شريعة عامة شاملة تلتزم بها الأمة من بعده ، فإنها لا تنطبق علي المسيح البتة لما يلي :

١ - إن موسي عليه السلام عبد من عباد الله ، ونبي من أنبيائه ، أرسله إلي فرعون وبني إسرائيل ، وغاية منزلته أن يكون نبيًا يوحى إليه بشرع ، لا غاية فوقها ، والمسيح في زعم النصاري ليس نبيًا ولاعبداً، بل هو إله تام من إله تام من جوهر أبيه ، وقد اتحد ناسوته البشري بلاهوته فصار إلهًا مستقلا هو الأقنوم - أي الأصل - الثاني من الأقانيم الثلاثة التي تشكل بمجموعها إلهًا واحداً له ثلاث مشيئات لكنها لا تختلف ، جاء في إنجيل يوحنا ١ / ١ « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً .

والله عندهم هو المسيح نفسه ، وهو يرسل الرسل ، فكيف يُشبه موسي الذي هو عبد رسول ؟ !! جاء في تفسير الكتاب المقدس عندهم لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور دافيدسن في تفسير هذه النبوءة ما يلي : « يعلن موسي إعلانًا مَسيانيًا عن النبي الذي سيخلفه في وظيفته كنبي » . فالبشارة إنما هي بنبي لا بإله .

٢ إن المهمة التي جاء من أجلها المسيح في عقيدة النصاري لا تشابه المهمة التي بعث موسي من أجلها البتة : فالمسيح في زعم النصاري أقنوم الإنس الأزلي، لأن أقنوم الحكمة تجسد لكي يفدي الإنسان الذي شوهته الخطيئة البشرية ، ويموت علي خشبة الصليب كإنسان كامل بدون خطيئة.

والمسيح في زعمهم أيضًا صار ملعونًا من أجل هذه المهمة ؛ جاء في رسالة بولس إلي أهـــل غلاطية ٣ / ١٣ - ١٤ : «والمسيح حررنا من لعنة الشريعة بأن صار لعنة من أجلنا ، فالكتاب يقول : ملعون من مات معلقًا علي خشبة ، وهذا ما فعله المسيح لتصير فيه بركة إبراهيم إلي غير اليهود » .

والمسيح في اعتقادهم دخل الجحيم بعد صلبه ، وأخرج الأنبياء و الصالحين ، ومكث هنالك ثلاثة أيام ، لأن صلبه كان كفارة للخطيئة البشرية .

أما موسي عليه السلام فقد كانت مهمته تنحصر في أنه بشر رسول يُبلِّغ عن الله ، مات موتًا عاديًا ، ولم يصلب فداءً عن أحد، ولم يكن ملعونًا بشفاعته لأحد ، ولم يدخل الجحيم ليخلص أحداً ، فبين المهمتين بَوْن شاسع .

٣ - إن موسي عليه السلام كان صاحب شريعة كاملة مستقلة شاملة جميع نواحي حياة الإنسان في حياته وبعد مماته من عبادات وتشريع ، والمسيح كما تذكر الأناجيل لم يكن كذلك ؛ جاء في إنجيل متي ٥ / ١٧ - ١٨ : لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل جئت لأكمل.

٤ - إن موسي عليه السلام كان رئيسًا مطاعًا في قومه ، أمرهم بالجهاد ، وجاهد معهم ، وانتصر علي أعدائه ، وهو متزوج، وله أولاد ، أما المسيح عليه السلام فلم يكن كذلك مطلقًا ، بل كان يختفي من قومه عندما هموا بقتله وصلبه ، ولم يتزوج إلي أن نَجّاه الله من أعدائه ، ورفعه إلي السماء .

٥ - إنه لو حُملت هذه البشارة علي نبي من أنبياء بني إسرائيل للزم منه تكذيب نصوص التوراة التي بين أيديهم فقد جاء في سفر التثنية ٣٤ / ١٠ - ١٢ : « ولم يقم بَعْدُ نبيٌ في إسرائيل مثل موسي الذي عرف الرب وجهًا لوجه » .

وهذا النص يحتمل أن يكون معناه أن هذا النبي المنتظر لم يكن قد أتي حتي زمان كتابة التوراة في بابل إبان السبي أو بعد العودة منه ، لكنّ من الممكن أن يظهر بعد ذلك من بني إسرائيل أو من غيرهم ، غير أن التوراة السامرية منعت أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل البتة ، فقد جاء فيها ٣٤ / ١٠ : « ولا يقوم أيضًا نبي في بني إسرائيل، كموسي الذي ناجاه الله شفاهًا » .

وبما أنه لا مثيل لموسي في بني إسرائيل، فلا بد أن يكون النبي المنتظر الذي بَشّرت به التوراة من ذرية رجل آخر مبارك في نفسه وذريته ، وقد منح الله سبحانه البركة لإسماعيل وذريته كما منحها لإسحاق وذريته؛ فتعين أن يكون هذا النبي من ذرية إسماعيل ، ولم يخرج من ذرية إسماعيل بالرسالة والنبوة إلا محمد ﷺ ، فيكون هو الموعود به لما يلي :

ا- إنه من أخوة بني إسرائيل وليس منهم.

ب - إنه يماثل موسي في أمور كثيرة

(*) يكثر الربط جداً بين موسي ومحمد عليهما الصلاة والسلام وأمتيهما في القرآن الكريم ، بسبب تعدد أوجه الشبه بينهما :- فقد حكي تعالي علي لسان الجن قولهم : ﴿ إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾(الأحقاف : ٣٠).

- وقال ورقة بن نوفل لما أخبرته خديجة رضي الله عنها بما حدث مع النبي ﷺ في غار حراء : « هذا الناموس الذي أنزل الله علي موسي »، وقال النجاشي لما تليت عليه سورة مريم : « إن هذا والذي جاء به موسي ليخرج من مشكاة واحدة »، وراجع في ذلك صدر سورة الإسراء ، وطه ، والقصص ، والجاثية (١٦ - ١٩) ،

منها ما يلي :

١ - كلاهما عبد ورسول لله سبحانه ؛ فهما نَبيَّان ، وقد ولدا من أب وأم ، وتزوجا وأنجبا أولاداً ، وماتا علي الفراش ، ودُفِنا في القبر .

٢ - كلاهما كلمه الله شفاهًا من غير وساطة أحد .

٣ - كلاهما صاحب شريعة كاملة شاملة لنظام كامل لحياة الإنسان دينيًا ودنيويًا .

٤ - كلاهما مطاع في أصحابه وأتباعه، وقادر علي إجراء الأحكام بينهم ، وقد أمرا بالجهاد فجاهدا مع من تبعهما .

وهذا مصداق قوله تعالي ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴾ (*)(المزمل : ١٥) .

- وأما الصفة الثالثة : وهي أن الله سيجعل كلامه في فمه ، فيكلمهم بكل ما يوصيه به ، فإنها تشير إلي أن الله سبحانه سينزل علي هذا النبي كتابًا يظهر للناس من فمه ، كما تشير أيضًا إلي أنه سيكون أمِّيًا، لا يكتب ولا يقرأ ، ومحمد ﷺ كان أميًا ، وقد أنزل الله القرآن علي قلبه ، وظهر للناس من فمه ، قال سبحانه : ﴿ وإنه لتنزيلُ رَبِّ العالمين * نزل به الروحُ الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين * وإنه لفي زُبر الأولين * أَوَلَمْ يكن لهم آيةً أن يعلمه علَماء بنى إسرائيل ﴾ (الشعراء : ١٩٢ - ١٩٧).

وقوله في الفقرة ١٨ / ١٨ : «ويكلمهم بكل شئ آمره به » يدل علي أنه لا يتكلم من تلقاء نفسه ، بل بوحي من الله ، ومحمد ﷺ كان كذلك ، قال سبحانه : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يُوحى ﴾(النجم : ٣-٤) .

وأما الصفة الرابعة الواردة في الفقرة ١٨ / ١٩ : « ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم فيه باسمي؛ فأنا أكون المنتقم منه » .

فإنها تدل علي أن الله سبحانه سيؤيد هذا النبي ، وينصره علي من يكفر به ، لأن المراد بالانتقام هنا الانتقام التشريعي الذي يشمل الجهاد الذي تكون فيه العاقبة لذلك النبي وأصحابه ، كما يشمل القصاص وإقامة الحدود ، ولايمكن أن يكون المراد به محض العذاب في الآخرة ، لأن هذا عامٌ لا يختص به نبي دون آخر .

وأما الصفة الخامسة الواردة في الفقرة ١٨/ ٢٢ فتدل علي أن هذا النبي سيخبر أمته ببعض الأمور الغيبية التي يُطلعه الله عليها، وسوف تتحقق ، ويراها أصحابه وأمته من بعده ، حدثت كما أخبر، وهذه الصفة تنطبق علي محمد ﷺ أتم الانطباق ، فقد حَدَّث أصحابه في القرآن الكريم والسنة المطهرة عن الغيب الماضي والحاضر في زمنه مما غاب عنه ، وعن الغيب المستقبل ، فكانت أخباره كلها صادقة ؛ منها ما رآه الصحابة حال حياته ، ومنها ما رأوْه بعد وفاته ، ومنها ما رأته أمته من بعده بعد مئات السنين ، ومنها ما وقع بعضه وبقي الآخر ، ومنها ما يزال المسلمون ينتظرون وقوعه حتي اليوم ، وأكتفي هنا بالمثالين التاليين :

١ - عن أبي قبيل قال : كنا عند عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ وسئل : (أيَ المدينتين تفتح أولا ، القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق . قال: فأخرج منه كتابًا ، قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولا ، أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : « مدينة هرقل تفتح أولا » ، يعني قسطنطينية) أخرجه أحمد في « المسند » ، وابن أبي شيبة ، والدارمي ، والحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

ولقد فُتحت القسطنطينية علي يد « محمد الفاتح » وسماها إسلام بول ، وبقي فتح روما إن شاء الله .

٢ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم ، حتي يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ، فتعال فاقتله » أخرجه الشيخان والترمذي .

وإن ذلك لكائن بإذن الله كما أن الشمس تشرق كل يوم ، لكن لا يعلم متي يكون إلا الله سبحانه .

وأما الصفة السادسة التي جاءت في الفقرة ١٨ / ٢٠ ، فتفيد أن نهاية المتنبئ الكاذب هي القتل ، والمسيح في زعم النصاري قُتل وصلب ، فهل هو متنبئ كاذب كما يدعي اليهود ؟!

أما محمد ﷺ فلم يستطع أحد قتله رغم كثرة المحاولات من المشركين في مكة المكرمة، ومن اليهود والمنافقين وغيرهم في المدينة المنورة حضراً وسفراً ، واليهود يعلمون هذا أكثر من غيرهم ، وحوادث الغدر والخيانة شاهدة علي ذلك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لما فُتحت خيبر ، أُهْدِيَتْ لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمٌ ، فقال رسَول الله ﷺ : « اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود » ، فَجُمعوا له ، فقال : « إني سائلكم عن شئ ، فَهل أنتم صادقيَّ عنه؟ »، قالوا : نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أبوكم ؟» ، قالوا:فلان، فقال : « كذبتم ، بل أبوكم فلان»، قالوا : صدقت وبررت ، فقال : « هل أنتم صادقيَّ عن شئ إن سألتكم عنه ؟ » قالوا: نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفتَ ، كما عرفتَ في أبينا ، قال لهم : « مَن أهل النار ؟ » قالوا : « نكون فيها يسيراً، ثم تخلُفوننا فيها » ، قال :« اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبداً »، قال : « هل أنتم صادقيَّ عن شئ إن سألتكم عنه ؟ »، قالوا : نعم يا أبا القاسم، قال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمًا ؟ » قالوا : نعم . قال : « فما حملكم علي هذا ؟» ، قالوا : أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك ، وإن كنت صادقًا لم يضرك) أخرجه البخاري .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة ، فجيئ بها إلي رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت : « أردت لأقتلك»، وفي رواية أبي داود عن جابر رضي الله عنه

قالت : « قلت : إن كان نبيًا فلن تضره ، وإن لم يكن نبيًا استرحنا منه »، فقال رسول الله ﷺ : « ما كان الله ليسلطك علي ذلك » ، أخرجه البخاري ومسلم .

وفي رواية أبي داود عن جابر : « فعفا عنها " .

وقد ادعي النبوة قبل محمد ﷺ وبعده أناس كثيرون ، فكان مصيرهم القتل ، مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح وغيرهم .

وهذه الصفة التي جاءت في هذه الفقرة تتطابق مع قوله تعالي : ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ (الحاقة : ٤٤ - ٤٧) .

ومع قوله سبحانه :﴿ يا أيها الرسول بلّغْ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من النـــاس﴾ (المائدة : ٦٧) .

الرسالات الثلاث

نص البشارة :

جاء في سفر التثنية ما يلي :

٣٣ / ١ : وهذه هي البركة التي بارك بها موسي رجلُ الله بني إسرائيل قبل موته.

٣٣ / ٢ : فقال : جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سَعير ، وتلألأ من جبال فاران.

توضيح البشارة :

هذا النص هو وصية موسي عليه السلام قبل موته لبني إسرائيل ، فقد بشرهم بالمسيح ابن مريم ، وبمحمد ﷺ ، وربط بين الرسالات الثلاث :

- فمجئ الله من سيناء ظهور دينه وتوحيده بما أوحي به إلي عبده ورسوله موسي عليه السلام هناك ، حيث كلمه في جبل الطور ، وناداه من واديه الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ، فنبأه وأعطاه بعض المعجزات ، وأرسله إلي فرعون ، ثم أنزل عليه التوراة، وأعطاه الشريعة هدًي لبني إسرائيل ، وهذا أمر متفق عليه .

- وإشراقه من سَعير ظهور فضله بإرسال عيسي عليه السلام ، وإنزال الإنجيل عليه فيه هدًي ونور ، وسَعير جبل في فلسطين بجانب قرية بيت لحم حيث ولد المسيح عليه السلام ، ولايزال هذا الاسم يطلق علي أرض الجليل التي فيها مدينة الناصرة ، وهذه البشارة ينازع فيها اليهود .

- وتلألؤه من فاران هو ظهور أمره إلي جميع الناس بإنزال القرآن علي محمد(١) ﷺ وجبال فاران هي الجبال المحيطة بمكة المكرمة حيث ولد محمد ﷺ ، وفي غار حراء الكائن في أحد هذه الجبال كان النبي ﷺ يتعبد ، فنزل عليه الوحي لأول مرة بأول سورة نزلت من القرآن ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ .

وهذا أمرينازع فيه اليهود والنصاري ، لكن الشمس مشرقة وإن لم يرها الأعمي ، إذ لا يشك عاقل في أن برية فاران هي مسكن آل إسماعيل ، جاء في سفر التكوين ٣١ / ٢٠ - ٢١ : وكان الله مع الغلام فكبر وسكن البرية ، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمه زوجةً من أرض مصر .

وقد عُلم بالتواتر واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما عاش وربي في مكة بواد غير ذي زرع ، وأنه بني مع أبيه إبراهيم البيت المحرم بذلك الواد .

فَعُلم قطعًا أن فاران في الحجاز ، وأن جبال فاران هي المحيطة بمكة المكرمة ، وقد بقي هذا الاسم يطلق علي تلك الجبال إلي ما بعد القرن السابع الهجري ، كمـــا ذكر ابـن تيمية في « الجواب الصحيح » .

(يتبع إن شاء الله)

(١) وقد جمع الله عز وجل هذه الأماكن المقدسة في قوله تبارك وتعالي : ﴿ والتين والزيتون * وطورسينين * وهذا البلد الأمين ﴾ (سورة التين ١ : ٣) .

«بلى قادرين على أن نسوى بنانه»

اختلاف بصمات الأصابع

حقيقة علمية أشارإليها القرآن الكريم

قبل أن تكتشف باثني عشر قرنًا

الدكتور/ حامد أحمد حامد

يعود الفضل في اكتشاف البصمات - بعد فضل الله- إلي أستاذ التشريح البولنـدي (بركنجي) ، والبصمات هي تسجيل للتعرجات التي تنشأ من التحام طبقة الأدمة مع البَشَرة ، وهذه التعرجات تختلف من شخص لأخر ، فلا تتوافق ولا تتطابق أبداً بين شخصين ، وتبقي من المهد إلي اللحد مميزة لكل شخص علي حدة ، والبصمة تبدأ تتميز من الشهر الثالث للحمل ، وتبقي ثابتة لا تتغير حتي الموت. وقد تبين من دراسة إحدي الجثث التي عثر عليها الباحثون في حفرة جليدية، وكان عمرها المقدر ألفي سنة أن بصماتها واضحة ومميزة بالرغم من هذا العمر ، ووجد العلماء أن إحدي المومياء المصرية المحنطة احتفظت ببصماتها واضحة جلية ، وخلال العمر فالبصمة لا تتبدل أبداً حتي إذا احترق الجلد ينمو محله جلد جديد به نفس البصمات تماماً لم تتبدل .

وأول من أكد ثبات البصمات (فرانسيس جالتون) سنة ١٨٩٢م ، وحدث أن بعض المجرمين بشيكاغو تصوروا أنهم قادرون علي أن يغيروا هوية بصماتهم ، فنزعوا الجلد من البنان ثم طعّموه بقطع لحمية جديدة من مواضع أخري بأجسامهم، ولكنهم أصيبوا بالحسرة وخيبة الأمل عندما اكتشفوا أن الجلد المزروع الجديد نما، واكتسب نفس البصمات الخاصة للشخص بدون أي تغيير .. !

ويعود الفضل- بعد الله - إلي(د . وليم هرشل) الإنجليزي الذي أشار إلي اختلاف البصمات باختلاف أصحابها ، مما يجعلها دليلاً مميزاً لكل شخص ، وذلك سنة ١٨٥٨م ، مما أدي إلي استخدامها بأجهزة الشرطة كدليل قاطع علي المجرمين

وتتميز البصمات عند دراستها بأربع صفات رئيسية :

(١)تفرع خط إلي خطين جزئيين أوأكثر.

(٢) إنتهاء خط باتجاه الأعلي أو الأسفل

(٣) وجود جزيرة أو نقطة .

(٤) وجود حلقة .

وبدراسة البصمات من هذا المنطلق يمكننا

تمييز (١٠٠) صفة لها ، ولكن يكفي عملياً تطابق واتفاق (١٢) صفة من الأشكال واتساع الزاوية وشكلها والصفات الجزئية للخطوط المكونة للبصمة ، وتختلف بصمة كل إصبع عن الآخر ، وتبعاً لنظرية الاحتمالات : أصبح من المؤكد استحالة تطابق شخصين في بصماتهما لحد أن هذا الاحتمال يجوز بنسبة واحد من السبتليون، والسبتليون رقم يفوق أي تصور حيث يتطلب الحصول عليه أن يشترك سكان الأرض في أن يحصوا بتسلسل الأعداد ١-٢-٣-٤ إلخ لمدة تسعة ملايين سنة ، ويقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني:

وأعجب شئ بهن الخطوط
فما التحدت في الوري بصمتانْ
وطبقةُ إبهامِنا خَتْمُنا
يميزنا ما توالي الزمان
أناملنا من بديع الفنون
يقصرعن وصفهن البيانْ

وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم آياته :

﴿ أيحسَبُ الإنسانُ ألن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوى بنانَه﴾

{ سورة القيامة : ٣ - ٤ }

ولهذا فلا غرابة أن يكون البنان إحدي آيات الله التي وضع فيها أحد أسرار خلقه ، والتي تشهد علي الشخص بدون التباس ، فتصبح خير دليل وأصدق شاهد في الدنيا والآخرة ، فالبصمات تنطق باسم صاحبها دليلا علي اقترافه الجريمة عندما تتطابق مع البصمات الموجودة بجسم الجريمة في الدنيا ، وكذلك ستكون البصمات شاهداً علينا ينطق بالحق ، ولا يرضي عنه بديلا يوم يخرس اللسان: ﴿ ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴾ { سورة النمل : ٨٥ } ﴿ هذا يوم لا ينطقون﴾ { سورة المرسلات : ٣٥ }

﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ { سورة يَس : ٦٥ }

﴿ويوم يُحْشَر أعداءُ الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾ { سورة فصلت : ١٩ - ٢٢ } عندما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الآية ﴿ما كنا مشركين *﴾ ، ﴿ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ قال : (إن الله عز وجل يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون تعالوا نقل :« لم نكن مشركين» فختم الله علي أفواههم فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عرفوا أن الله لا يُكْتمَ حديثاً .

﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾ . { سورة النساء : ٤٢ }

(*) رحلة الإيمان في جسم الإنسان ، ص (١٠٤ - ١٠٦) .

إعداد : عرفات كامل العشي

قصة إسلام الأستاذ إبراهيم خليل أحمد

(أستاذ اللاهوت القس ، إبراهيم خليل فيلوبوس ، سابقًا)

صدق الله العظيم القائل :﴿ وما يعلم جنودَ ربِّك إلا هو ﴾ { المدثر : ٣١ } .

وصدق رسول الله ﷺ القائل : « إن الدين يسر ، ولن يُشادَّ الدينَ - أي يقاويه ويقاومه أحدٌ إلا غلبه » .

كان الأستاذ « إبراهيم خليل أحمد » قسًا مبشراً ،يحمل أرفع الشهادات في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية ومن جامعة برنستون الأمريكية ، وكانت مهمته تزييف حقيقة الإسلام ، والدعوة ضد مبادئه، وفجأة شاء الله له الهداية ، فأعلن انقلاباً ذاتيًا علي مهمته ، واتخذ موقفاً مغايراً لها تمامًا ، سبحان الله ! كم من خصم لدود للإسلام يناصبه العداء ، ويتآمر ضده ، ويكيد له أعظم الكيد ، ثم يتحول بإرادة ربانية سماوية إلي داعية مخلص للإسلام ، ولا يقتصر ذلك علي زماننا ، فبدءًا بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، الذي كان ألدَّ أعداء رسول الله ﷺ ، والذي كان يريد قتل هذا النبىَ ، ثم أسلم ، فأصبح الفاروقَ عمر ، الذي ملأ الدنيا عدلاً وقسطًا ، ومروراً بآل أبي سفيان وزوجه هند آكلة الأكباد ، والتي دفعت ثمناً باهظاً لقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله ، والتي كانت تقول للرسول ﷺ بعد أن أسلمت : « والله ما كان هناك بيتٌ أبغضَ إلينا من بيتك ، وها نحن الآن والله ما من بيت أحب إلينا من بيتك » ، وعلي مر العصور يُحَوِّل الله من شاء من عباده من المحاولة لهدم هذا الدين، والإجهاز عليه إلي التضحية بالروح والنفس والنفيس للذود عنه ، وقضية القسيس « إبراهيم خليل » تضيف فصلا جديداً في قصص التوفيق الرباني الرائع ، وسنة الله في حفظ هذا الدين

يبدأ الأستاذ « إبراهيم خليل أحمد »، والذي كان اسمه من قبل « القس إبراهيم خليل فيلوبوس » ، قصته قائلا :

رحلتي الدراسية

أنا من مواليد الإسكندرية في١٣يناير ١٩١٩ درست في مدارس الإرسالية الأمريكية حتي الثانوية العامة ، ثم حصلت علي دبلوم كلية أسيوط سنة ١٩٤٢ ، وتخصصت في الدراسات الدينية تمهيداً لدخولي كلية اللاهوت ، ولم يكن

الالتحاق بكلية اللاهوت بالأمر السهل ، ولا يستطيع أي حاصل علي الدبلوم أن يلتحق بهذه الكلية ، بل لا بد من تزكية الكنيسة، واجتياز عدد من الاختبارات الدقيقة ، ولقد حصلت علي تزكية كنيسة العطارين بالإسكندرية ، كما حصلت علي تزكية المجمع الكنسي للوجه البحري ، بعد إجراء اختبارات عديدة ودقيقة للتعرف علي مدي استعدادي لأن أصبح « رجل دين » .. ثم حصلت علي تزكية المجمع « السنودس » وهو يقيم مجموعة قساوسة من السودان ومصر ، ويعتبر كمؤتمر ديني عام ، وقد قرر « السنودس» الموافقة علي دخولي كلية اللاهوت سنة ١٩٤٤بالقسم الداخلي ، ودرست علي يد أساتذة أمريكيين ومصريين ، وتخرجت في عام ١٩٤٨ .

وقد كـان المفـروض أن أعـين في « القدس» . . لكن حرب فلسطين نشبت في ذلك العام ، فعينت في بلدة « إسنا» بالوجه القبلي في مصر ، وسجلت رسالة في العام نفسه عن طريق الجامعة الأمريكية في القاهرة ، وكانت رسالتي عن « العمل التبشيري بين المسلمين » ..

وقد بدأ تعرفي علي الإسلام من خلال دراستي في كلية اللاهوت ، فنحن في هذه الكلية ندرس الإسلام ، وكل الأساليب التي نستطيع من خلالها زعزعة إيمان المسلمين ، وتشكيكهم فيه .

وفي سنة ١٩٥٢ حصلت علي الماجستير من جامعة « برنستون » الأمريكية ، وعُينت أستاذاً بكلية اللاهوت في «أسيوط » ، وكنت أقوم بتدريس الإسلام، والمغالطات ، والافتراءَات ، والشائعات التي يرددها أعداؤه ، والمبشرون ضده .. وقد رأيت في هذه الفترة أن أوسع دراستي لكل جوانب الإسلام ، وقررت ألا أكتفي بالاطلاع علي كتب المبشرين والمستشرقين التي تقتصر علي الطعن في الإسلام ، ولثقتي بنفسي وحبي للعلم قررت أن أقرأ وجهة النظر الأخري ، وأدرس كتب المسلمين أنفسهم ، بل قررت أن أدرس القرآن بتعمق .

أردت أن أقهر القرآن ، فقهرنى القرآن

وكان هدفي من هذا كله : أن أصبح متمكنًا من مادتي تماماً ، بحيث أستطيع دفع الحجة بالحجة ، وأكون قادراً علي أن أضيف إلي حجج المبشرين ضد الإسلام حججاً جديدة من خلال دراستي وتعمقي.. لكن النتيجة في الواقع كانت عكسية ، فقد بدأ موقفي يهتز ، وبدأت أشعر بصراع داخلي عنيف بيني وبين نفسي ، واكتشفت أن ما درسته من قبل ، وما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب ، لكنني لم أستطع مواجهة نفسي، وحاولت التغلب علي هذه الأزمة الداخلية

والاستمرار في عملي .

وفي سنة ١٩٥٤ نقلت إلي« أسوان » سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية ، وكانت هذه وظيفة صورية ، أما حقيقة مهمتي فكانت التبشير ضد الإسلام في الصعيد الأقصي وخاصة بين المسلمين .

وأشرقت أرض قلبى بنور ربها

وفي تلك الأثناء عقد مؤتمر تبشيري في فندق « كتراكت » بأسوان ، ودعيت للكلام فيه ، وتكلمتُ يومها كثيراً ، ورَدَدْتُ كل المطاعن المحفوظة ضد الإسلام.. وبعد أن انتهيت من كلامي عاودتني أزمتي الذاتية، وبدأتُ في مراجعة موقفي مرة أخري ، وعدتُ أسأل نفسي : « لماذا أقول هذا وأفعله وأنا أعلم أنني كاذب ، وأن هذا الذي أقوله ليس هو الحق ؟ » ، واستأذنت قبل انتهاء المؤتمر ،و خرجت وحدي متجهاً إلي بيتي.

كنت مهزوزاً متأزماً للغاية ، وكنت أسير في« حديقة فريال » ، واستمعت ساعتها للآية الكريمة : ﴿ **قل أُوحِيَ إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا ..﴾** (الجن : ١ - ٢) .

إلي قوله تعالي : ﴿**وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ..﴾** (الجن : ١٣).

في تلك الليلة شعرت براحة نفسية عميقة .. عدت إلي بيتي ، وقضيت الليل كله وحدي في المكتبة أقرأ القرآن ، وسألتني زوجتي عن سر سهري ، وعما أقرأ؟ فطلبت إليها أن تتركني وحدي ، ولقد وقفت طويلا عند الآية الكريمة :﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ..﴾** { الحشر : ٢١}. كماوقفت طويلا أتأمل معني الآية الكريمة :

﴿ **لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين *﴾**{ المائدة : ٨٢ - ٨٤ } .

وكذلك قوله تعالي :﴿ **الذين يتبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنـــزل معه أولئك هم المفلحـــون *﴾** { الأعراف : ١٥٧ }

والآية الكريمة : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون * ﴾ . { الأعراف : ١٥٨ }.

القرار الحاسم

في تلك الليلة اتخذت قراري النهائي.. وفي الصباح تحدثت مع زوجتي، وكان لي منها ثلاثة أولاد وبنت ، لكن زوجتي بمجرد أنها سمعت أنني ميال للإسلام ، وأفكر في إشهار إسلامي ، صرخت ، واستغاثت برئيس الإرسالية « مسيو شافتز » وهو سويسري ، وكان رجلا داهية ، وقد سألني عن حقيقة موقفي ، فأكدتُ له ما أخبرته به زوجتي ، فقال لي: « اعتبر نفسك موقوفاً عن العمل حتي نري حقيقة ما أصابك » ، فقلت له: « بل هذه هي استقالتي من عملي » .. حاول أن يقنعني بتأجيلها ، ولكنني صممت عليها ، فأشاع في الناس أنني أُصبْتُ بالجنون ، وتعرضت وقتها لمحنة شديدة واضطهاد عظيم ، فاضطررت لترك « أسوان » نهائياً والعودة إلي القاهرة .

كيف أعلنت إسلامي ؟

وفي القاهرة تعرفت علي أستاذ فاضل ساعدني كثيراً علي اجتياز محنتي دون أن يعرف شيئاً عن قصتي ، وكان يعاملني علي أنني مسلم ، لأنني قدمت نفسي إليه كمسلم رغم أنني لم أكن قد أشهرت إسلامي بعد .. كان هو الدكتور « محمد عبد المنعم الجمال » الذي كان وكيلا لوزارة الخزانة ، وكان مهتماً بالدراسات الإسلامية، وكان يريد إعداد ترجمة لمعاني القرآن لينشرها في أمريكا، وقد استعان بي لإتقاني اللغة الإنجليزية ولأنني حاصل علي الماجستير من جامعة أمريكية ، وعرف أيضاً أنني أقوم بعمل دراسة مقارنة للقرآن، والتوراة ،والإنجيل، وقد تعاونّا معاً في هذه الدراسة ، وفي ترجمة القرآن ، ولما عرف أنني استقلت من عملي في « أسوان»، وأنني لا أعمل ، ساعدني علي إيجاد عمل في شركة «ستاندارد ستيشنري» في القاهرة.

وهكذا استقرت أموري في ذلك الوقت ، ولم أكن أتحدث مع زوجتي في موضوع إشهار إسلامي ، فأعتقَدَتْ أنني نسيت هذه الحكاية ، وأنها أزمة ، وانتهت.. لكنني كنت أعرف أن إشهار إسلامي رسميًا يحتاج إلي إجراءات طويلة معقدة ومعركة رأيت أن أؤجلها إلي وقت لاحق ، حتي تستقر أموري ، وحتي أنتهي من دراستي المقارنة للقرآن والإنجيل والتوراة ، وقد انتهيت منها فعلا في عام ١٩٥٩، كما أن أموري المادية والمعيشية كانت قد استقرت حيث كنت قد استقلت من الشركة ، وأنشأت

مكتباً تجارياً لاستيراد الأدوات الكتابية ، ونجحت فيه ، ووهبني الله رزقاً حلالا كان يكفيني ، ويزيد عن حاجتي .

وقررت حينئذ أن أشهر إسلامي رسمياً، وفي يوم ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٩ أرسلت برقية للدكتور«طومسون» رئيس الإرسالية الأمريكية في مصر ، أخبرته فيها بأنني اعتنقت الإسلام ، كما تقدمت في اليوم نفسه بطلب إلي محافظة القاهرة لاتخاذ الإجراءات الرسمية لإشهار إسلامي، وأخبرت صديقي الدكتور «الجمال» بالأمر، وقصصت عليه قصتي كاملة لأول مرة ، فذُهِل .

وبدأت المعركة الحقيقية

أما معركتي الحقيقية فكانت قد بدأت، إذ يقضي نظام المحافظة علي أي مسيحي يريد أن يشهر إسلامه أن تنتدب الكنيسة التي يتبعها أحد القساوسة للحضور أمام لجنة المحافظة التي تعقد له جلسة مناقشة علنية بحضور القسيس ، فإذا تأكدت اللجنة من صدق نيته ، وإصراره علي إشهار إسلامه برضي كامل ودون أية مؤثرات ، أو عوامل غير طبيعية فإنها تحرر محضراً رسمياً بذلك ، وتعطيه شهادة بإشهار إسلامه .

بالنسبة لي عندما أرسلت طلبي للمحافظة ، قامت بإخطار الكنيسة لانتداب أحد القساوسة ، وحددوا لي جلسة للمناقشة ، ولكن قبل موعد الجلسة بثلاثة أيام عُدت إلي بيتي ، فوجدت سبعة من كبار الشخصيات المسيحية ينتظرونني في البيت .

تحدثوا إلي طويلا في الأمر ، وبلهجة لينة ، وكثير من الترغيب ، أما أنا فكنت قد انتهيت إلي قرار وتصميم ، فرفضت كل عروضهم ، وقلت لهم : « إنني لو كنت أسعي لمغنم لما آمنت ، وإن عقيدتي وإيماني فوق كل العروض والمغريات » .. فقالوا لي: « كيف تترك دينك ؟ » قلت لهم : « إن الإسلام هو الذروة الدينية التي أرادها الله للإنسانية كافة ، وأنتم تعرفون ذلك »، فبدأ البعض يهاجم الرسول ﷺ بكلمات نابية، وانقلبوا عليَّ بتهديدات ، أولها : أن الزوجة تترك البيت ، فقلت لهم : « الزوجة حرة » ، لكنهم استمروا في تهديدي بالقتل ، فقلت لهم أخيراً : « ماذا تريدون بالضبط؟ »، قالوا : « نريدك ألا تذهب لحضورالجلسة في المحافظة ، فيسقط طلبك ، ويعتبر الموضوع منتهياً » ..وكان اليوم يوم أحد، فقلت لهم :« سأفكر» ، وتركوني يائسين.

وفي اليوم التالي جاءني قسيس أكبر مني سنًا ، وكانت له صلة وثيقة بي ، وظل يبكي ، فقرأت عليه قوله تعالي : ﴿وإذا سمعوا ما أُنزِل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما

لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾

{ المائدة : ٨٣ - ٨٤}

وقلت له :«أولي بك أن تبكي خشوعاً لله عند سماع القرآن ، وأن تؤمن بالحق الذي تعرفه وتنكره » ، فقام ، وتركني بعد أن يئس وأدرك أن لا فائدة .

وعندما ذهبت إلي جلسة المحافظة علمت أنه هو المكلف بحضور الجلسة ، لكنه أرسل يعتذر عن عدم الحضور بسبب المرض ، ويطلب تأجيل الجلسة .. وظل يتغيب عن الجلسة بحجة المرض ، وبقصد التعطيل ، لكن اللجنة كان من حقها أن تشهر إسلامي إذا تغيب القسيس أكثر من جلستين ، وفعلا وافقوا علي إشهار إسلامي ، وكان ذلك في يناير ١٩٦٠م .

إسلام أولادى ، وموقف زوجتى

ولما سئل الأستاذ«إبراهيم خليل أحمد» عن موقف زوجته قال : في ذلك الوقت تركتني زوجتي ،وأخَذَتْ أثاثَ البيت ، لكن أولادي جميعهم انضموا إلي صفي ، وأشهروا إسلامهم ، وكان أكثرهم حماسًا ابني الكبير « إسحق » الذي غيَّر اسمه إلي « أسامة » ، ثم ابني « يوسف » ، وبقي اسمه علي ما هو عليه ، وابني « صموئيل » الذي أصبح اسمه « جمالا » ، ثم ابنتي « ماجدة » ، وسميناها « نجوي » .. و« أسامة » اليوم دكتور في الفلسفة ، ويعمل أستاذاً في جامعة السوربون بباريس في قسم الدراسات الشرقية ، ويقوم بتدريس علم النفس، وله كتابات في مجلة « لوموند » الفرنسية .

أما زوجتي فقد غابت ست سنوات عن البيت ، ثم وافقت علي العودة إليَّ في سنة ١٩٦٦ ، علي أن تتمسك بدينها ، فوافقتها لأن الإسلام دين سماحة ، ولا إكراه في الدين ، وقلت لها : « أنا لا أريدك أن تسلمي لإرضائي أو لتبعيتي، ولكن عن اقتناع وإيمان » ، والواقع أنها الآن تشعر في أعماقها وقرارة نفسها بالإيمان ، لكنها لا تستطيع إعلان ذلك خوفاً من عائلتها ، ولكنها تتعامل معنا كمسلمة ، بل تصوم رمضان معنا ، لأن أولادي جميعاً يصومون، ويصلون ، وابنتي « نجوي » في كلية التجارة ، و «يوسف » دكتور صيدلي، و «جمال» مهندس .

فارس فى ساحة الدعوة

لا أريد أن أشرح تفاصيل ما تعرضت له من اضطهاد ومتاعب ، وخاصة من جانب أهلي الذين قاطعوني ، وحاولوا قتلي ، كما أنني اضطررت لتصفية أعمال مكتبي، لأن كل البيوتات التجارية التي كنت أتعامل معها في الخارج تضافرت علي مقاطعتي وعدم التعامل معي ، وجميع أصحاب هذه البيوتات

أجانب ، لكنني لم أهتز ، وقررت أن أصرف وقتي وبقية عمري في الدعوة للإسلام والكتابة عنه، وساعدني علي ذلك أنني عينت في عام٦١م في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوظيفة سكرتير لجنة الخبراء، ولجنة إحياء التراث الإسلامي..

وقد استطعت خلال هذه الفترة من عام ١٩٦١ حتي الآن أن أصدر عدة كتب تكشف عن حقائق الإسلام وعن أساليب المبشرين والمستشرقين ضده ، وكتبي التي نشرتها فعلا هي :

١ - « محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن » وهي الدراسة المقارنة للأديان الثلاثة التي بدأتها في عام ١٩٥٦م، وانتهيت منها في عام ١٩٥٩ .

٢ - المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي .

٣ - إسرائيل والتلمود .

٤ - « تاريخ بني إسرائيل » وهو من ثلاثة أجزاء ، هي :

أ - إسرائيل فتنة الأجيال .

ب - إسرائيل في العصور القديمة .

جـ - إسرائيل في العصور الحديثة .

٥ - الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية .

٦ - المسيح إنسان لا إله .

٧- الإسلام في الكتب السماوية .

٨ - المخطط التبشيري والاستعمار .

٩ - اعرف عدوك : إسرائيل عقيدة وسياسة .

وأقوم الآن بإعداد دراسة مقارنة لوضع المرأة في الأديان الثلاثة ، وإبراز مكانة المرأة في الإسلام ... هذا وقد حججت إلي بيت الله في عام ١٩٧٣ ، وأديت مناسك العمرة مرتين ، وأقوم بنشاط واسع في الدعوة للإسلام ، وأجري ندوات في الجامعات ، والمساجد ،والجمعيات الخيرية، وقد جاءتني دعوة من «السودان » في عام١٩٧٤، وأحييت عدة ندوات في « السودان » .. وعموماً فإن أوقاتي كلها مكرسة لخدمة الإسلام ، وأرجو الله أن يهدي بي من لم يهتدِ بعد.

لماذا أسلمت ؟

قلت للأستاذ « إبراهيم خليل » :أريد أن تحدثني عن العناصر الأساسية التي استوقفتك في الإسلام ، وعَمَّقَتْ إيمانك به قال :

معجزة القرآن المجيد

إن الإيمان لا بد أن ينبع من القلب أولا ، والواقع أن إيماني بالإسلام تسلل إلي قلبي خلال فترات طويلة ، منذ بدأت دراستي للإسلام في كلية اللاهوت ، ومن قراءتي للقرآن ، ودراستي لتاريخ الرسول ﷺ ودعوته أيقنت أنه نبي مرسل من عند الله، وبدَأتْ قناعتي بما كانوا يقولونه لنا من أنه مُدَّعٍ ، أو أنه كاذب ، بَدَأتْ

قناعتي بهذا الكلام تهتز ...فكيف لرجل أمّيٍّ لم يتعلم أبداً أن يأتي بهذا القرآن الذي بلغ حد الإعجاز ، ومازال حتي الآن، وسيبقي إلي الأبد معجزة ، إذ لا يمكن لبشر مهما أوتي من موهبة أن يأتي بآية واحدة منه ؟ ثم هذا النظام المحكم الذي عالج كل قضايا الدين والإيمان والحياة بمنطق علمي فوق كل علم، وفوق كل تصور بشري ، هل يمكن لبشر أن يأتي بهذا كله من عنده ؟!

ثم قال :

إن البداية تنطلق طبعاً من هذا التفكير ، والسؤال الذي يجب أن يطرحه كل مفكر في هذا الأمر هو هذا : هل يمكن لمحمد الرجل الأمي أن يؤلف هذا القرآن من عنده بما فيه من إعجاز في الأسلوب ، وإعجاز في التفكير ، وشمول موضوعي لكل قضايا الدين والدنيا ، وهو الأمر الذي يعجز عنه أي مفكر ، مهما بلغت درايته وعبقريته وسعة أفقه ؟ وقد يكون ممكناً أن يأتي مفكر بنظام معين في الاقتصاد ، أو بنظرية في الاجتماع ،أو في الفلسفة ، أو في العلوم أو اللاهوت، لكن أن يأتي مفكر واحد بنظام شمولي يجمع كل هذه الجوانب ، وفي كتاب محكم شامل معجز ، فهذا فوق طاقة وقدرة أي بشر علي مر كل العصور .

أثر رسول الله ﷺ على البشرية

كنت دائمًا أقرأ القرآن الكريم ، وأقرأ تاريخ الرسول ﷺ ، وأحاول أن أجد أساساً واحداً يمكن أن يقنعني أن محمداً هذا الإنسان الأمي الفقير البسيط يستطيع وحده أن يؤلف هذا القرآن ، ويحدث كل تلك الثورة التي غيّرت تاريخ العالم ، ولا تزال .

وهل يمكن أن تبلغ بلاغة أي إنسان أو قدرته علي مناقشة الآخرين لدرجة التي يقول معها : ﴿ **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه مَلَكٌ فيكونَ معه نذيراً * أو يُلْقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعونَ إلا رجلا مسحوراً * انظر كيف ضربوا لك الأمثالَ فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً *** ﴾

{ الفرقان : ٧ - ١١ }

حررتني عقيدة التوحيد

استوقفني كثيراً نظام التوحيد في الإسلام، وهو من أبرز معالم الإسلام « **ليس كمثله شئ** » و « **قل هو الله أحد الله الصمد** » إن التوحيد يجعلني عبداً لله وحده لست عبداً لأي إنسان ، التوحيد في الإسلام يحرر الإنسان ، ويجعله غير خاضع لأي إنسان ، وتلك هي الحرية الحقيقية فلا عبودية إلا لله وحده .

لا وساطة .. لاصكوك غفران ..
لا كراسي اعتراف

أما نظام الغفران في الإسلام فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم علي الصلة المباشرة بين العبد وربه :

﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفرالذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصَرون * واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ .

{ الزمر : ٥٣ - ٥٥ } .

فالإنسان في الإسلام يتوب إلي الله وحده، لا وجود لوسطاء ، ولا لصكوك غفران ، أو كراسي اعتراف ، لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان وربه .

تكريم الإسلام للمرأة :

كذلك استوقفني كثيراً موقف الإسلام من المرأة ، فالإسلام أعطي المرأة مكانة لم تحظ بها في أي ملة أو دين غيره ، لقد أعطاها الإسلام حقوقاً كأم وبنت وزوجة ، كما أعطاها سيادة ، استمع إلي الآية الكريمة التي تقول :﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ﴾**.{ الروم :٢١ } فالعلاقة بين الرجل والمرأة علاقة مودة ورحمة ، والاتحاد بين الرجل والمرأة آية من آيات الله تعالي ، وليس هناك تكريم للمرأة مثل هذا التكريم في أي دين من الأديان ، فالمرأة في الديانة اليهودية تعتبر مجرد متعة ، ولا حق لها ولا قيمة، وفي النصرانية تعتبر المرأة همًا ومعطلا للرجل عن العبادة ، وانفصال المرأة عن زوجها في المسيحية يمنعها من الزواج ، وهذا يعرضها للفتنة ، إن نظرة الإسلام للمرأة تأتي في نطاق بناء متكامل لمجتمع حر عادل ليس فيه عبودية ، ولا طغيان، ولا إكراه ، ولا كهنوت ، ولا وسطاء يستغلون الناس باسم الدين ، أو باسم الدنيا .

وعلي العموم لو أردت أن أتحدث عما جعلني أعتنق الإسلام لاحتاج الأمر لمجلدات أتحدث فيها عن كل ما في الإسلام من مـــزايا ، لكنني أكتفي بقـــولي : ﴿ **الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله** ﴾ .(١)

(١) (الأعراف : ٤٣) ، وانظر : « رجال ونساء أسلموا » (٤ / ٧٨ - ٩٤) .

قرأت لك :

هل أسلم الملك « أوفا » ؟

اسم الكتاب : عصر « أوفا » ملك إنكلترا الأنجلوساكسوني (٧٥٧ - ٧٩٦ م)

المؤلف : دكتور « مصطفي حسن محمد الكناني » أستاذ تاريخ العصور الوسطي المساعد - كلية الآداب - جامعـــة « أسيوط »

توزيع : منشأة المعارف بالإسكندرية .

عرض وتلخيص : محمد الكفراوي

مكانة الملك « أوفا »

يُعَدُّ الملك «أوفا» - ملك مرسيا الأنجلوساكسوني - واحداً من أعظم ملوك أوربا ، وأكثرهم شهرة في القرون الوسطي ، فقد استطاع علي امتداد فترة ملكه التي امتدت تسعة وثلاثين عاماً (٧٥٧ - ٧٩٦م) أن يخرج مملكته Mercia عن عزلتها ، . لقد كان لأوفا دورحضاري وأثر فعال في وضع نواة نهضه الأمة الإنكليزية ، فلم يكن رجل حرب وسياسة فحسب،بل كان رجل دولة بارعاً ، ومنظِّمًا فريد الطراز،اهتم بالنظام المالي والاقتصادي ، ورفع مستوي الإنكليز الثقافي والاجتماعي،وكانت عنايته بالجيش فائقة ، حيث امتلك قوة ضاربة حقق بها توحيد الممالك الأنجلوساكسونية تحت قيادته لأول مرة في التاريخ ، فبلغت في عصره مكانة سامية تمتعت فيها بالثروة والأمن نتيجة مشروعاته الاقتصادية والعمرانية (١) ، فاستحق عن جدارة لقب «ملك كل بلاد الإنكليز».

إن انجازاته الرائعة في شتي المجالات، بجانب اشتهاره بالعدل وطيبة القلب حققت له شهرة واسعة، ومكانة سامية، فقد تخطي حدود بلاده ، وترك بصمات قوية علي مجريات أمور السياسة الأوروبية في أخريات سني عمره، من أجل هذا كان «البابا» ، و«شارلمان»(٢) الملقب بالعظيم يهابانه، ويتوددان إليه ، ويداهنانه رغم كراهيتهما الشديدة له. (١)

غموض موقف المؤرخين الغربيين من « أوفا »

لم ينل تاريخ الملك «أوفا» حقه في الدراسات التاريخية، واقتصر المؤرخون

(١)ومن مظاهر اهتمامه الشديد بالبناء والتعمير بناؤه « سورأوفا العظيم » Offa's Dyke الذي يعد أعظم عمل إنشائي أقيم علي سطح الأرض في أوربا علي امتداد تاريخها القديم والوسيط ، وكان يمتد من البحر إلي البحر بين « ويلز » و « مرسيا » ، وكان يبلغ طوله ٢٤١ كم تقريباً ، ويرجح المؤلف أن هذا السور قد أقيم لدرء احتمالات الخطر المتوقع قدومه من « ويلز » بتحريض وتخطيط « البابوية » .

(٢)كان « شارلمان » يعد نفسه المدافع عن الملة النصرانية في أوربا الغربية .

الغربيون المعنيون بتاريخ الجزيرة البريطانية علي إيراد إشارات متناثرة هنا وهناك،وبينما مَرَّ بعض المؤرخين المهتمين بتاريخ إنكلترا الأنجلوساكسوني بعصر «أوفا» مرور الكرام، أهمل الإشارة إليه تماماً فريق آخر منهم .

أضف إلي هذا أن جميع وثائق عصره - دون غيره من الملوك الإنكليز - قد اختفت!

كما يُلاحظ أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتأخرة زمنيًا بصفة خاصة ، وأغلب المراجع والموسوعات ، والمعاجم المتخصصة بصفة عامة قد أهملت الإشارة إلي أهم وأندر العملات في تاريخ أوروبا الوسيط ، والتي أصدرها الملك «أوفا»، أعني دينار المشهور الذي نقش عليه اسمه بالحروف اللاتينية مصحوبًا بعبارات التوحيد الإسلامية: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له - محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله» الأمر الذي حدا ببعض الناس أن يجزم بأن «أوفا» اعتنق الإسلام بناء علي هذا الدينار(٢) .

يقول الدكتور «الكناني» معلقًا علي موقف المؤرخين الغربيين الغامض من عصر «أوفا»:(قد يُعزي هذا إما إلي عدم إلمامهم بالموضوع تمام الإلمام ،أو تعمدهم إهمال هذا الجانب لتصوير الأحداث من وجهة نظر صليبية محضة، لقد ورَّطوا أنفسهم في حيرة مصطنعة أداهم إليها خوفهم من ردود فعل الكنيسة المضادة لهم إذا هم خرجوا علي الناس بمثل هذا الرأي ، فهم لم يتحلوا بروح المؤرخ المحايد، فضلا عن خبث نواياهم وكراهيتهم الشديدة للإسلام والمسلمين ،اهـ..

الصراع بين أوفا والبابا

- أصدر الملك «أوفا» عدة قرارات تتلخص في سلب اختصاصات رجال الكنيسة وعلي رأسهم رئيس أساقفة كانتربري الذي جرده من سلطاته تمامًا ، وأصدر قراراً بإنشاء أسقفية في «ليتشفيلد».

- وأصدر عدة قرارات أخري بلغت من خطورتها حداً جعل البابوية تعتبرها خطراً ماحقاً هدد إنكلترا كلها بالخروج من حظيرة

(١) فقد خاطبه « شارلمان » قائلاً : (.. إن الحفاظ علي روابط الصداقة بين أصحاب الجلالة الملوك، وأصحاب المقامات الرفيعة أمرحتمي من أجل كفالة السلم ودوام المحبة بينهم) ، وكشفت المصادر التاريخية عن رسالة من « شارلمان » إلي رئيس أساقفة كانتربري ، وأسقف ليندسي ينصحهما فيه(بالتلطف والتودد إلي الملك أوفا) .

(٢) يقول المؤلف الدكتور « مصطفي الكناني » حفظه الله : (وهذا الذي حدا بي إلي عمل دراسة تحليلية لتلك البيانات علي مدي أكثر من ثلاث سنوات ، حصّلت خلالها جملة من الوثائق التاريخية ، فضلاً عن صورة الدينار ، والمعلومات التي استمددناها من المسئولين في المتحف البريطاني وغيرهم من المتخصصين) ، وبَيَّن المؤلف كذلك أنه اعتصر مادته العلمية من المصادر القديمة فضلا عن المراجع اللاتينية والإنكليزية القديمة و الحديثة والفرنسية والعربية، فكان حصاد هذه الجهود سد الثغرات التي واجهته علي امتداد البحث ، وبذا أمكن ربط الموضوع في وحدة متكاملة متناسقة .

النصرانية، والتحرر من سلطان البابوية» ، ومن المرجح أن تلك القرارات المشار إليها تتلخص في اعتناقه الإسلام وإصداره دينارة المشهور، وفيه عبارات التوحيد الإسلامية .

- حاول البابا التخلص من «أوفا» فعقد تحالفًا مع ملك «كنت» ، وحرّضه علي مهاجمة «مرسيا»، لكن «أوفا» عاجله بالهجوم ، فهزمه هزيمة ساحقة في بداية عام ٧٨٥م ، وضم «كنت» إلي مملكته .

- تردد في أوساط الكنيسة الرومانية شائعات عن سلوك «أوفا» المعادي للعقيدة النصرانية، ذلك السلوك الذي «هدد بالخطر سلطان الكنيسة الرومانية مباشرة ، وأنذر بإخراجه من إنكلترا».

-وصلت الشائعات إلي مسامع البابا « أدريان » فجُنّ جنونه خوفًا علي الكنيسة الرومانية ، وعقيدتها الكاثوليكية التي لا بد أن تكون تأثرت بسبب اعتناق « أوفا » الإسلام ، فسارع بإعداد بعثة عاجلة أرسلها إلي إنكلترا عام ٧٨٦ م (من أجل إعادة تجديد وتثبيت الإيمان والسلام اللذين دعا إليهما القديس « أوجسطين » عام٥٩٧ م من قبل) علي حَدّتعبيرالمصادرالتاريخية التي أجمعت علي تحديد هذا الهدف .

ويستنبط المؤلف من هذا تأكيد اعتناق « أوفا » الإسلام ، ومحاولته نشره في إنكلترا مما أدي إلي ارتداد الكثيرين عن النصرانية ، وإحداث هزة عنيفة أصابت العقيدة الكاثوليكية بالضرر ، ودمرت جهود « أوجسطين» - الملقب بالقديس - السابقة لكثلكة إنكلترا .

يقول المؤلف :(..وتؤكد الشواهد أن الملك أوفا مكراً منه قد هادن البابوية،وأنكر الشائعات ، ترقباً للفرصة المواتية لإعلان إسلامه جهاراً نهاراً بعد أن يكون قد مكّن لدينه الذي ارتضي في بلاده ، فكان لأول وآخرمرة من نوعها في تاريخ أوربا أن يأمر ملك مثله بضرب هذا الدينار الفريد صاحب عبارات التوحيد الإسلامية في تحدٍّ سافر للبابوية .

وهنا ، وليأس البابوية عن إثناء «أوفا» عن عزمه أو التفاهم معه بالحسنى ؛ خطط البابا لعزله،بالاتفاق مع كل من « أيثلبرهت» ملك شرقإ انجليا ،والبريطانيين في « ويلز» للقيام بالهجوم علي « أوفا » وحصره بين فكي كماشة تطبق عليه من الشرق والغرب ، لكن شاءت الأقدار أن تفشل تلك الجهود بانتصار« أوفا» علي «أيثلبرهت» ومصرعه) اهـ . ، وتقديراًلدور « أيثلبرهت » وكسباًللمشاعرأصدرالبابا قراراً باعتباره « قديسًا شهيداً » وأمرت الكنيسة بحفظ جثته في كاتدرائية « هيرفورد » التي أقيمت تخليداً لذكراه !

ثم حاول « شارلمان » جَسّ نبض « أوفا» فعرض عليه تزويج ابنه «شارل» من إحدي بناته ، لكن «أوفا » رفض بشدة ، وطالبه بتزويج ابنته «برثا» من ولده

« ايجفيرث » ، فاستشاط «شارلمان » غضبًا ، لدرجة أنه أمر بوقف المفاوضات وسَحْب سفارته ، وعودتها علي الفور ، فضلاً عن إصداره أوامره المشددة بمنع كافة التجار الإنكليز من دخول جميع مدن ومواني مملكته للتجارة .

سر الدينار الذهبي

أصدر «أوفا» بعد بسطه سيادته علي الممالك الإنكليزية أوامره الصارمة بوقف استخدام كافة أنواع العملات السائدة في عصور سابقيه ، وأصدر أمراً بسك عملة - فضية - جديدة متنوعة شكلاً وحجماً ، ومما يلفت النظر أن العملة في بداية عصره كانت تحمل علي وجهها صورة «أوفا»، وعلي ظهرها علامة الصليب ، أما في أخريات عصره فقد اختفت صورته من وجه العملة،وحل محلها نقش بارز لاسمه كما اختفي الصليب تمامًا من ظهر العملة .

أما العملات الذهبية التي أصدرها الملك «أوفا» فقد تمثلت في ذلك الدينار الذهبي الفريد الذي نُقِشَ علي وجهه عبارات التوحيد الإسلامية ، فضلا عن نقش اسم الملك «أوفا» باللاتينية ، ويلاحظ من دراسة الدينار جهل ضاربه باللغة العربية حيث لوحظ عدة أخطاء في نقوش الكتابة العربية علي الجهتين مما يؤكد أنه قد تم ضربه في دور السك الخاصة بالملك «أوفا» في إنكلترا، وفيمايلي نص كتابات النقوش العربية واللاتينية علي دينار الملك «أوفا»:

أولا :الوجه : هامش : محمد رسول الله أرسله بالهـ

ودين الحق ليظهره علي الدين كله

مركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له

ثانياً :الظهر

هامش : بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع وخمسين ومئة

مركز : محمد رسول الله OFFA

وقد لوحظ أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتأخرة زمنيًا لم تشر ألبتة إلي هذا الدينار من قريب أو بعيد ، وبالمثل أهملت دوائر المعارف العلمية والمعاجم والمراجع المتخصصة الإشارة اليه ، رغم أن غالبيتها قد أشارت الي عملات الفترة المبكرة من عصره ، بل إن « بعض » المعاصرين من المؤرخين رغم أنهم عرب يلمون بلغة الضاد تغاضوا كلية عن الإشارة إلي تلك العبارات ، باستثناء بعضهم ممن أشار إليها لكن مَرَّ عليها مرور الكرام دون تعليق يُذكر رغم خطورة

مدلولاتها (١) مما يجعل المرء يتساءل عما إذا كان هذا الإهمال متعمداً من أجل طمس حقيقة هذا الملك العظيم لاعتناقه الإسلام ؟

والسؤال الآن :

إذا كان « أوفا » قد اعتنق الإسلام بالفعل، فكيف وصلت إلي مسامعه الدعوة الإسلامية ؟

والجواب : أن الراجح أن يكون ذلك قدتم عن طريق التجار المسلمين ، فإن من المعلوم الثابت أن العلاقات التجارية بين الشرق الأدني الإسلامي وبين القارة الأوربية عامة، وشمال أوربا وإنكلترا بصفة خاصة كانت وثيقة وقوية ، ومن المعلوم أيضًا أن الملك « أوفا » قام بتنشيط التجارة ، وكان يقول : «إن أي ملك يريد أن يرفع مستوي معيشة شعبه وتحقيق أمجاده لا بد أن يهتم بالتجارة ويشجعها »

وقد تأكد أن العلاقات التجارية قد ازدهرت فيما بين إنكلترا وبين الخلافة العباسية في تلك الآونة ، وقد حرص «شارلمان» نفسه علي توثيق علاقته التجارية والسياسية مع العباسيين ، وأكدت الوثائق التاريخية قوة علاقة « شارلمان » بـ «هارون الرشيد»، وتبادله وإياه السفارات والهدايا المختلفة ، وحيث كان « أوفا » منافسا « لشارلمان »، وندًا له فقد حرص «أوفا» علي منافسة «شارلمان» في هذا المجال، مما زاد حركة ونشاط التجار المسلمين في أنحاء المدن والموانى الإنكليزية الذين لم يكونوا تجاراً فحسب ، بل كانوا دعاة إلي الإسلام حيث حَلُوا بخلقهم وسلوكهم مما أعطي القدوة الحسنة ، والصورة المشرقة للإسلام والمسلمين، فلربما حصلت اتصالات مباشرة بين هؤلاء الدعاة من التجار وبين «أوفا» أدت إلي عرضهم مفاهيم الإيمان والتوحيد الإسلامي ، ونظرة الإسلام إلي رسول الله عيسي وأمه الطاهرة البتول مريم عليهما السلام ، فآمن عن عقيدة واقتناع ، كما حصل مع « النجاشي» ملك الحبشة ، ولعل هذا يكون السبب في رفع شارة الصليب وصورة أوفا وإحلال شعارات التوحيد الإسلامي محلهما ، والله تعالي أعلم.

نهاية الملك « أوفا »

لم تشر المصادروالوثائق إلي كيفيةأوأسباب موت الملك «أوفا »المفاجئ ، وهو في قمة مجده ونفوذه يوم الجمعة (٢٩ يوليو ٧٩٦م / ١٧ جمادي الأول ١٨٠ هـ) ، وعندما توفي الملك في بلدة « أوفلي » تم نقله إلي بلدة « بيدفورد » الصغيرة حيث دفن في مصلي صغير داخل مبني متداع ، علي حافة نهر «الأوسك» المشهور بتياراته ، وفيضاناته الجارفة ، وذلك علي خلاف العادة التي جرت فيمن كان بمثل مكانة «أوفا» وأضرابه من الملوك ، وهي دفنهم في كاتدرائية أو كنيسة العاصمة الكبري،مما يرجح القول بأنه اعتنق الإسلام .

يقول الأستاذ الدكتور«مصطفي الكناني»حفظه الله :(..وهكذا أفادت وأكدت تلك الرواية الغامضة دفن الملك أوفا بهذه الطريقة المشبوهة في مثل تلك البلدة الصغيرة ،داخل ذلك المكان المجهول ، وليس داخل الكنيسة الكبري بالعاصمة، مما يرجح اعتناق هذا الملك العظيم للإسلام ، فكانت المحصلة محاربته وإثارة النفوس ضده للخلاص منه في الدنيا ، ثم دفنه بعد وفاته بهذه الطريقة المشينة ، انتقاماً منه حتي يزول هو وعقيدته الجديدة ، فتنساه الأجيال المتعاقبة علي مر السنين خشية أن يكون مثالايُحتذي، فيكون الدمار للكنيسة الإنكليزية هو المحصلة الوحيدة لذكري هذا الرجل هذا ، وقد أشار نفس المصدر - يعني كتاب روجر أوف ويندوفر - إلي أن المقبرة قد أصابها التصدع، وأتلفها التسوس حتي انهارت مع المبني، وغارت في أعماق النهر ، بفعل الفيضانات المدمرة علي مر السنين، « فكان أن بُذلَت جهود مضنية من أجل اكتشاف مكان المقَبرة ،وإخراج جثة الملك «أوفا»، ولكن الأقدار أبت أن تكلل تلك الجهود بالنجاح » (١)

الملك « حنا» على خطى «أوفا »

ويستطرد الدكتور « الكناني » قائلاً :

(من الأهمية بمكان التوقف ها هنا لحظة لمناقشة عبارة «روجر أوف وندوفور» الأخيرة تلك ، لأهميتها فيما نحن بصدده من كشف حقيقة اعتناق الملك أوفا للإسلام، فالملاحظ أن « روجر أوف وندوفور» (توفي٦مايو ١٢٣٧م) كان معاصراً للملك حنا (جون) ملك إنكلترا (١١٩٩ م - ١٢١٦ م) ، وصاحب العهد الأعظم (الماجنا كارتا) Magna Carta المشهور ، وهو الذي أصدر أوامره بالبحث عن مقبرة الملك «أوفا» ، وباءت جهوده بالفشل كما ذكرنا من قبل نقلاً عن «روجر أوف وندوفور»، وهنا نتساءل : لماذا أصدر الملك « حنا» قراره بالبحث عن مقبرة الملك «أوفا» ؟

الراجح أن الملك «حنا» كان معجبًا بشدة بشخصية الملك «أوفا» ، ولعله قد أحيط علماً بالكثير من أسرار سيرته بعامة وموقفه من الإسلام بطريقة أو بأخري من كبار رجال القصر وأفراد أسرته وغيرهم من رجال الكنيسة الانجليزية المنصفين بصفه خاصة ، فكان أن أعجب به ، واتخذه مثالايُحتذَي ، ومن ثَمّ أصدر قراره السابق الذكر بالبحث عن مقبرته كما أفادنا شاهد العيان« روجر»، لتكريمه ودفنه في المكان اللائق به .

ولا شك أن البابوية قد هالها قيام «حنا» بهذا العمل الذي اعتبرته معاديًا للكنيسة الكاثوليكية ، وخشيت من أن ينقلب إعجاب « حنا » بالملك «أوفا » إلي اتخاذه نفس الطريق ، واعتناقه الإسلام مثله ، ويبدو أن البابوية قد طالبت « حنا » بالكف عن البحث عن مقبرة «أوفا »، ورفع يده عن رجال الكنيسة الإنكليزية ، وعدم تدخله في شئونهم

(١)(والمسكوكات - كما هو معروف - لها مكانتها كوثيقة يعتد بها في كشف وسبر أغوار حقيقة تاريخ الأمم السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وكذا عقيدتها الدينية ، وهناك من المؤرخين من يشبه العملة « بالعلم الخاص بالدولة » ، أو بجواز السفر الذي تحمله في جيبك تحسبًا لأية ظروف طارئة ، فإذا ما توفي إنسان أثناء سيره بالطريق ، فلا شك أن جواز سفره - بما فيه من بيانات وصورة - سوف يحدد اسم حامله وعنوانه فضلا عن هويته الدينية) ا هـ من الأصل ص(١٦٢) .

(١) وحتي بعد موت الملك « أوفا » لم تهدأ مؤامرات البابا مع « شارلمان » فقد خططا معاًمن أجل الزحف إلي « مرسيا » للقضاء علي آخر سلالة « أوفا » في إنكلترا عن طريق « ايردولف » الذي غز «مرسيا » بالفعل عام (٨٠١ م) ، ولم تشر المصادر التاريخية إلي أسباب هذا الغزو من قريب ولا من بعيد .

بالعزل والتعيين ، وهددته بالحرمان والعزل . فلم يعر« حنا » تهديدات البابوية اهتماماً ، وأقسم علي طرد كافة رجال الدين الكاثوليك من إنكلترا ، وجدع أنوفهم ومصادرة أملاكهم، بل كما يبدو قد هدد البابوية باعتناق الإسلام مثلما فعل الملك «أوفا»، وهنا تميز البابا من الغيظ ، وأصدر قراراً بالفعل بحرمان « حنا » عام ١٢٠٨ م ، فكانت ردود فعل «حنا» عنيفة ، إذ أصدر قرارات تتلخص في مصادرة أملاك الكنيسة والأديرة ، وحبس كبار رجال الدين ، بل يبدو أنه قد ترسم خطي الملك «أوفا» فاعتنق الإسلام، ثم طلب المعونة العسكرية من الموحدين بالأندلس لتعضيده ضد البابوية وأعوانها ، فطار لب البابا«إنوسنت الثالث »(١١٩٨-١٢١٦م) وخشي مغبة ذلك العمل ، فأصدر قراراً جديداً بالحرمان ضد «حنا » عام ١٢١٣م،كما قرر عزله ، وطالب الشعب الإنكليزي بمحاربته ، وانتزاع كافة أملاكه ومصادرتها غنيمة له ، ويؤيد ذلك الرأي رواية خطيرة الفحوي أوردها المؤرخ المعاصر« روجر أوف وندوفور» صديق الملك «حنا» المقرب إليه وكاتم أسراره في حولياته (١) ، فلقد أشار إلي أن الملك «حنا» قد أرسل سفارة سرية إلي أمير المؤمنين الخليفة الموحدي « محمد الناصر لدين الله » (٢٢ ربيع الأول ٥٩٥ - ٤ شعبان ٦١٠هـ / ٢٢ يناير ١١٩٩- ١٩ ديسمبر ١٢١٣ م) في عام (١٢١٢ م / ٦٠٨ - ٦٠٩ هـ)، برئاسة كل من الفارسين «توماس هاردنجتون» «ورالف فيتزنيقولاس» فضلا عن أحد كبار رجال الدين المقربين إليه ، المدعو « روبرت أوف لندن » حيث عرضوا علي الخليفة مطالب الملك « حنا» من خلال الرسالة التي سلموه إياها من لدنه ، وتتلخص في إعلان رغبة «حنا» الملحة في « اعتناقه الإسلام هو وشعبه ، وإلحاق إنكلترا بدولة الموحدين» ، ولاشك أن تلك الرواية الخطيرة الفحوي تؤكد مدي صحة ما وصلنا إليه بخصوص ترجيح اعتناق الملك «أوفا» الإسلام بدليل إخفاء البابوية مكان دفنه ، وطمس معالم تاريخه ، ومحاولات «حنا» كشف مكان الدفن لإحياء ذكراه فحسب ، بل تؤكد أيضًا إعجاب الملك «حنا» الشديد بالملك «أوفا» ، وترسمه خطاه ، ومحاولته هو أيضًا اعتناق الإسلام ، وتلك قضية أخري لا زالت في حاجة إلي المزيد من الأبحاث والدراسات المتأنية والمستفيضة .

مهما يكن من أمر ، وعلي ضوء ما سبق ، لعلنا نكون قد أكدنا ما وصلنا إليه بشأن ترجيح اعتناق الملك «أوفا» الإسلام ، ومن ثم قيامه بالمحاولة الأولي من نوعها في تاريخ أوربا الوسيط بإعلان الإسلام دينًا رسميًا له ولشعبه) ثم نقل الدكتور مصطفي الكنـــاني عـن Moiniddin مؤلـف كـتاب « هل اعتنق الملك أوفا دين الإسلام » المطبوع في لندن النص التالي : (... وعندما سألت الكثير من الشخصيات الإنكليزية ، الذكور والإناث علي حدٍ سواء ، أجمعوا علي اعتناق «أوفا» الإسلام ، وعَزَوا ندرة الوثائق إلي تدمير الكنيسة الإنكليزية لها بسبب اعتناقه الإسلام ، وأدًا لها وطمسًا لمعالم تاريخه منذ البداية » اهـ (٢) .

وقبل أن أُوَدِّعَكَ أخي القارئ أقدم هذا السؤال البرئ إلي المسئولين في المُتْحَف البريطاني بلندن : (لقد اعتدتم أن تعرضوا دينار الملك «أوفا» الذهبى فى مُتْحَفِكم للناظرين ، فما هو السِّرُّ ياترى فى إخفائكم هذا الدينارَ مؤخَّراً ومنـــع عرضـــه للزائرين ؟).

وآخر دعوانا : «أن الحمدلله رب العالمين »

---

(١) وقد عزل « روجر » من منصبه بعد وفاة الملك « حنا » عام ١٢١٦ م مباشرة

(٢) (Did King Offa Accept the Faith of Islam ?) ص (١ - ٢)